الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج

في ضوء القرآن الكريم

دراســة موضوعية

إعداد الدكتورة

داليا محمد شوقي محمد الصادق داود

قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(الأنعام/١٥٣)

ملخص البحث

عنوان البحث: الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم.

الباحثة: داليا محمد شوقي محمد الصادق داود.

أهمية البحث: تتجلى من خلال إلقاء الضوء على ظاهرة بالغة الخطورة أصابت المجتمعات الإسلامية، وباتت خطرًا يهدد أمنها واستقرارها، مما يوجب ضرورة دراستها دراسة علمية تأصيلية تمكن من مواجهتها بقوة، لتحقيق أمن الأمة الذي لا يتحقق إلا بأمن العقول والافكار.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعرف على مصطلح الانحراف الفكري، والوقوف على أسبابه، وآثاره السلبية على المجتمع وأفراده بل والمنحرف ذاته، وإبراز أهم الوسائل الوقائية والعلاجية التي استخدمها القرآن الكريم لدحره والسلامة منه.

منهج البحث: قام البحث على المنهج الاستقرائي والاستدلالي.

تقسيمات البحث: اشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، كالآتي:

التمهيد: تحليل لمفردات عنوان البحث، والتعريف بمصطلح الانحراف الفكري وضوابطه.

المبحث الأول: في نشأة الانحراف، والتعرف على أهم العوامل المؤثرة في ظهوره.

المبحث الثاني: أسباب الانحراف الفكري، وهى متنوعة ومتداخلة، منها ما هو ديني، أو سياسي، أو اجتماعي، وغير ذلك، ثم الوقوف على أهمها مستدلة على ذلك.

المبحث الثالث: وفيه تم سرد لأهم آثاره السلبية سواء على المنحرف ذاته أو المجتمع وأفراده.

المبحث الرابع: واشتمل على **مطلبين، أحدهما:** أهم وسائل القرآن الكريم للوقاية من الفكر المنحرف والسيطرة عليه قبل أن تتسع دائرته، والثاني: وفيه أبرز وسائل القرآن العلاجية.

أهم النتائج: كل رأي يخالف الشرع يعد انحرافًا فكريًا، أخطار الانحراف جسيمة تبدأ بصاحبه ثم بمن حوله، لهذا فالمسؤولية مشتركة، ولن يتحقق الأمن إلا بلزوم منهج الاستقامة على دين الله، مع التأكيد على أن أساليب القرآن الوقائية والعلاجية كفيلة بدحر هذا الانحراف.

أبرز التوصيات: إنشاء مؤسسات ترعى الأمن الفكري للمجتمع، وتفعيل دور كل من المؤسسات المجتمعية المختلفة، ووسائل الإعلام لنشر مبدأ الوسطية والاعتدال، والاهتمام البالغ بالشباب، وفتح حوارات بناءة معه، وغرس مفهوم المواطنة في النشء، وإبراز مكانة أهل العلم والدين، والعناية بمراكز الإرشاد الأسري لتوعية الأسرة بخطر الانحراف الفكري.

المقدمـــة

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع
- أسباب اختياره
- أهداف البحث
- مشكلة البحث وتساؤلاته
- الدراسات السابقة
- منهج البحث
- ضوابط البحث
- محتويات البحث

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك – صلي الله عليه وسلم-، وعلي آله الطيبين، وأزواجه الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن حماية فكر أفراد المجتمع المسلم من الانحراف من أهم الضروريات التي ينبغي أن تتجه إليها الدراسات، ويعنى بها الباحثون، فضلاً عن أن يتصدى لها المسؤولون عن سلامة المجتمع وأمنه، ذلك أن سلامة الفكر ولزومه الحق من أهم الأمور التي تحقق استقرار المجتمع، بخلاف انحرافه فإنه يترتب عليه من المخاطر ما لا يترتب على غيره، فإن من أخطر صوره: الانحراف العقدي الذي يصل بصاحبه إلى الخروج من الملة؛ أو الحكم على البعض بذلك دون مستند شرعي مقبول، أو إنزال للنصوص الشرعية في غير مواطنها، فثمة علاقة بين الانحراف الفكري ومسائل الاعتقاد، لأن المنحرف إما غالي متجاوز في الدين بما لم يؤمر، وإما جافي مفرط، وكلاهما منحرف ضال للطريق الصحيح.

لهذا جاءت الدراسة؛ لتبين مدى خطورة هذا الأمر، مؤصلة لأهم سُبل الوقاية والعلاج من خلال القرآن الكريم، فإن التمسك بالمنهج الصحيح، والدعوة إلى لزومه من أولى الوسائل لتصحيح الانحرافات التي حلت بالمجتمعات الإسلامية.

أهمية الموضوع: وتتبين أهمية موضوع الدراسة من خلال النقاط الآتية:

١- أن الانحراف الفكري يستهدف شباب الإسلام الذين هم رأس ماله وأثمن مدخراته، وهذا أمر بالغ الخطورة فتضليل الشباب واستغلال طاقاتهم، وتجنيدهم لتنفيذ أجندات خبيثة، أمر يجب الاعتناء به لما يترتب عليه من مفاسد عظيمة على دين الفرد.

٢- الانحراف الفكري له أثر سيئ على أمن المجتمع من جوانبه المتعددة، سواء الأمن الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي أو غيره، ولن يتحقق الأمن العام لأي مجتمع إلا إذا تحقق أمن العقول، الذي لا يكون إلا بالاستقامة على المنهج الشرعي الصحيح لدين الله.

٣- أصبح الصراع بين الدول يأخذ طابعًا فكريًا، بمعنى أن بعض الدول اتجهت إلى غزو الأفكار والعمل على تحريفها عن طريق العديد والعديد من الوسائل بغرض إثارة الفتن والتشكيك في ثوابت الدين، وإحلال مفاهيم مغلوطة تؤدي بدورها إلى انحراف الفكر، مما أفسد علي البعض دينهم وفكرهم، فتعين التصدي لرد هذا الغزو الخطير.

أسباب اختياره: نظرًا لأهمية الموضوع فقد كانت أسباب اختياره:

١- الرغبة في دراسة ظاهرة الانحراف الفكري التي انتشرت انتشارًا سريعًا في الآونة الأخيرة، ودراستها دراسة علمية مؤصلة للوقوف في وجه الدعوات المنحرفة، خاصة التي تعمل باسم دين الاسلام.

٢- إبراز دور الشريعة الإسلامية وحرصها على حماية فكر اتباعها من الوقوع في براثن الافكار الهدامة المنحرفة.

٣- المساهمة في إجراء دراسات علمية حول الانحراف الفكري، فالموضوع بحاجة لمزيد من البحث والدراسة من جوانب متعددة.

٤- الشعور بالمسؤولية، فكما أن انحراف المعيار الفكري مسئولية مشتركة بين المؤسسات الاجتماعية، فإن مجابهته ورأب صدعه مسئولية أخرى العبء الأكبر منها يقع على عاتق العلماء والباحثين.

أهداف البحث: تتبلور أهداف البحث في البنود التالية:

١- تعريف مصطلح الانحراف الفكري، ووضع ضوابط له.
٢- معرفة نشأة وبداية ظهور الانحرافات بشكل عام.

٣- التعرف على أهم الأسباب المؤدية للانحراف الفكري.
٤- أبرز الآثار والمخاطر الناتجة عن الانحرافات الفكرية.
٥- استنباط أهم وسائل القرآن الكريم للوقاية من الانحراف الفكري ومعالجته.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

طرأ على مجتمعنا الإسلامي ظاهرة بالغة الخطورة أصابت فكر العديد من أفراده خاصة الشباب الذين هم درعه الواقي، وباتت خطرًا يهدد أمنه واستقراره، ألا وهي ظاهرة (الانحراف الفكري) حيث كثر دعاة التشدد والغلو والتطرف والتكفيريين وأصحاب الشبهات وغيرهم، الأمر الذي يوجب ضرورة دراستها دراسة علمية تأصيلية تمكن من مواجهة هذه الانحرافات بقوة وتصحيحها، لتحقيق أمن الأمة الذي لا يتحقق إلا بأمن عقول أبنائها وافكارهم..

ويتفرَّع عن هذه المشكلة التساؤلات الآتية:

١- ما المقصود بمصطلح الانحراف الفكري، وما ضابطه؟
٢- متى نشأ الانحراف؟
٣- ما هي أهم أسباب الانحراف الفكري؟
٤- ما هي أبرز مخاطره، سواء على الفرد أو المجتمع؟
٥- كيف يمكن التصدي لخطر هذه المشكلة، ومعالجتها؟

الدراسات السابقة: بعد البحث لم تقف الباحثة – حسب علمها – على دراسة مطابقة لعنوان ومضمون هذا البحث، ولكن وجدت بعض الدراسات والمؤلفات العلمية التي تناولت أطراف وأجزاء منه، أو تناولته من زاوية مغايرة لموضوع الدراسة، منها:

١- **الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية،** للدكتور/ محمد دغيم الدغيم، أستاذ مساعد بقسم علم النفس، الكويت، تناول فيه معالم الانحراف الفكري مرورًا أسبابه،

وآثاره على الأمن الوطني بجوانبه المختلفة (الاقتصادية، الاجتماعية،..)، ومن ثم الوصول إلى تعديل الفكر المنحرف من خلال أساليب مدعومة بتخصص الباحث (المجال النفسي)، معقبًا الإطار النظري بدراسة ميدانية على المجتمع الكويتي.

٢- **الهدي النبوي في معالجة الانحراف الفكري**، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح الذيب، الأستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية - جامعة المجمعة، والدكتور/ إبراهيم حامد أبو صعيليك الأستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية - جامعة المجمعة، وكان بحثهما استقراء لمعالجة النبي -صلى الله عليه وسلم-للانحرافات الفكرية التي حدثت في حياته، أو ظهرت بوادرها في زمنه-صلى الله عليه وسلم-.

٣- **الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري**، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية تخصص (التربية الإسلامية)، إعداد/ عبد الرحمن بن محمد بن نفيز المذاهبي الحارثي، استهدفت الدراسة التعرف على الانحرافات الفكرية والسلوكية وكيف عالجها النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال استنباطها من أحاديث صحيح البخاري.

٤- **حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري**، للدكتور /عبد الله بن عبد العزيز الزايدي، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ركز فيه على سُبل حماية ووقاية المجتمع من الانحراف الفكري في العصر الحاضر مركزًا على الجانب العقدي، مع إبراز بعض التطبيقات العملية للوقاية من الانحراف الفكري في عهد النبي، وعهد الخلافة الراشدة، ونماذج من التطبيقات العملية من قبل الأئمة المجددين من السلف (الأئمة الأربعة، شيخ الإسلام ابن تيمية، الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب).

أما ما عدا ذلك فيوجد الكثير من المقالات البسيطة عبر روابط الشبكة العنكبوتية لم تأخذ طابع البحوث العلمية، وأغلبها متكررة، ومعالجاتها جزئية إلى حد ما.

منهج البحث: قام البحث على المنهج الاستقرائي والاستدلالي، حيث استدلت الباحثة ببعض الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، واستنباط ما تضمنته من أسباب للانحراف ومخاطر، وكذا أهم أساليب الوقاية والعلاج، وتعزيز ذلك ببعض أحاديث النبي وأقوال العلماء.

ضوابط البحث: التزمت الباحثة في البحث الضوابط الآتية:

١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية تخريجًا حسب القواعد والأصول المتبعة.

٣- عزو النصوص المنقولة إلى مراجعها الأصلية، ووضعها بين علامتي تنصيص.

٤- كتابة بيانات المرجع كاملة عند ذكره أول مرة.

٥- شرح المصطلحات والألفاظ الغريبة، مسترشدة بالمعاجم اللغوية وكتب غريب الحديث.

محتويات البحث: اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس:

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلته وتساؤلاته، والدراسات السابقة، وضوابط البحث، ومنهجه، ومحتوياته.

التمهيد: اشتمل على تحليل مفردات عنوان البحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بـ الانحراف – الفكر – الوسيلة – الوقاية – العلاج.

المطلب الثاني: تعريف الانحراف الفكري وضوابطه.

المبحث الأول: نشأة الانحراف وعوامله

المبحث الثاني: أسباب الانحراف الفكري

المبحث الثالث: مخاطر الانحراف الفكري وآثاره على الفرد والمجتمع

المبحث الرابع: الوسائل الوقائية والعلاجية للانحراف الفكري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل الوقاية من الانحراف الفكري

المطلب الثاني: وسائل العلاج من الانحراف الفكري

الخاتمة: وقد اشتملت على:

أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

الفهارس، كالآتي:

فهرس الكتب والمراجع.

فهرس الموضوعات.

والله أسأل التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه

التمهيد

ويشتمل على: تحليل مفردات عنوان البحث،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:
التعريف بـ الانحراف – الفكر – الوسيلة – الوقاية – العلاج

المطلب الثاني:
تعريف الانحراف الفكري وضوابطه

التمهيد: تحليل مفردات عنوان البحث

توطئـــــة:

قبل الشروع في مباحث الدراسة، يحسن التمهيد ببيان معانى مفردات عنوان البحث لغة واصطلاحًا، والتعرف على المقصود بمصطلح "الانحراف الفكري"، والوقوف على ضوابطه، وقد اشتمل هذا التمهيد على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بـ الانحراف – الفكر – الوسيلة – الوقاية – العلاج.

أولاً: تعريف الانحراف:

١ـ تعريف الانحراف في اللغة:

مادة الكلمة: (حرف)، وحَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ وناحيته، وفلان على حَرْفٍ من أمره: أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يُحب، وإلا مال إلى غيرها، قال - تعالى-: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ**"[(١)]، أي ومنهم من "دخل في الدين على طرف - أي: شك -، فإن وجد ما يحبه استقر، وإلا ارتد عن دينه"[(٢)]، وحَرّف الشيءَ عن وجهه حَرْفاً: صرَفَه وغيَّره، وحَرَّفَ الشيءَ: أماله، وإذا مال الإنسان عن شيء يُقال: تَحَرَّف وانحرف، ويُقال: انْحرف مزاجُه: مال عن الاعتدال.[(٣)]

وحَرَّفَ الكلام: غيّره وصرفه عن معانيه وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره، قَالَ - تَعَالَى - عن اليهود: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"[(٤)] فقد كانت اليهود تُغَيِّرُ

---

(١) الحج/١١.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، جـ٥/ صـ٤٠٠، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر المعجم الوسيط صـ١٦٧، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط رابعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) جـ ٤/ صـ ٨٩، ٩٠)، دار صادر، ٢٠٠٣م.

(٤) المائدة/١٣.

مَعَانِيَ التوراة بِالْأَشْبَاهِ، فوصفهم الله بفعلهم، إذاً فالانحراف عن الشيء: الميل عنه، والخروج عن حد الاعتدال.

٢ـ تعريف الانحراف في الاصطلاح:

الانحراف: هو الميل عن طاعة الله ورسوله، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وهو بهذا ضد الاستقامة التي أمر الله بها ورسوله "[١]

وعرفه آخر بأنه: " ارتكاب أي فعل نهت الشريعة الإسلامية عن اقترافه، أو ترك أي فعل أوجبت الشريعة الإسلامية القيام به، دون أن يكون للفعل أو للترك عذر شرعي مُعتبر "[٢]

وهناك من يرى أن الانحراف ما هو إلا: " الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان ". [٣]، **وبهذا يتضح أن الانحراف معناه:** الميل والعدول عن المألوف سواء كان عرفاً أو شرعًا، وبهذا فإن كل ميل عما هو مألوف يعد انحرافًا، لاسيما الميل عن جادة الدين الإسلامي وصراطه المستقيم الذي هو منهج حياة البشرية.

ثانيًا: تعريف الفكر:

الفكر مفهوم شائع متداول يردده الكثيرون مفردًا وموصوفًا ومضافًا، وفيما يلي تعريفه في اللغة والاصطلاح.

---

(١) وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي لمؤلفه سليمان بن قاسم العيد، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٤، العدد ٢٨، صـ ٢٤، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (١٤٢٠هـ)، بتصرف.

(٢) رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية، لعبدالله بن ناصر السدحان، صـ١٤ مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤١٧هـ) بتصرف يسير.

(٣) الإسلام والشباب، لمحمد الزحيلي صـ١٦٣، دار القلم، دمشق، (١٤١٤هـ).

١ـ تعريف الفكر لغة:

الْفَكْرُ وَالْفِكْرُ: إعْمال الخاطر في الشَّيء.(١)

وقيل الْفِكْرُ: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، يقال: لي في الأمر فِكر، أي: نظر وروية، و(فَكر) في الأمر فكرًا: أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول(٢)، قال بعض الأدباء: الفِكرُ مقلوبٌ عن الفرك، لكن يستعمل الفِكرُ في المعاني، وهو فركُ الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها.(٣)

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو ثمانية عشرا موضعًا(٤)، لكنَّها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ كما في قوله – تعالى – "**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**"(٥)، وقال – تعالى –: "**أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**"(٦)، وقال – تعالى –: "**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** "(٧)، وغيرها من الآيات.

٢ـ تعريف الفكر اصطلاحًا:

أمَّا من الناحية الاصطِلاحيَّة، فقد عُرف بعدة تعريفات أذكر منها على سبيل المثال:

---

(١) لسان العرب مادة "فكر" جـ ١١/ صـ٢١١.
(٢) المعجم الوسيط صـ٦٩٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني صـ٤٩٧، مكتبة نزار مصطفى الباز.
(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي صـ٥٢٣، دار الحديث القاهرة.
(٥) المدثر/ ١٨.
(٦) الأنعام/٥٠.
(٧) الأعراف/١٧٦.

الفكر هو: "قوَّة مطرقة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب".(١)، **وعرف الجرجاني الفِكر بأنه**: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول.(٢)

وفي المعجم الفلسفي عُرف بأنه: إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، ويطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية.(٣)، فالفكر أو التفكير أسمى صور العمل الذهني، فهو عبارة عن قوة منحها الله للإنسان تعينه على أن ينتقل من مجموع مَا علمه ليصل إلى بعض المعلومات التي يجهلها بحسب نظر عقله في الأنفس والآفاق وآلاء الله ونعمه، والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله – تعالى – **"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ"**(٤)، وقوله - تعالى - **"إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"** (٥) وغيرها.

وبهذا: فإن كل ما يتوصل إليه عقل الإنسان من رأي ناتج عن التأمل والتحليل فهو فكر.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب صـ٤٩٦، ٤٩٧.

(٢) التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق/ محمد صديق المنشاوي صـ ١٤٢، دار الفضيلة.

(٣) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، د جميل صليبا جـ٢/ صـ١٥٤، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، ١٩٩٤م/ ١٤١٤هـ.

(٤) الروم/٨.

(٥) الرعد/٣، الروم/٢١، الزمر/٤٢، الجاثية/١٣.

ثالثاً: تعريف الوسيلة:

١- **تعريف الوسيلة لغة:** مما قيل في معناه اللغوي: التوصل إلى الشئ برغبة، وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة[١]

٢- **تعريف الوسيلة اصطلاحًا:** عُرفت بأنها: ما يتقرب به إلى الغير.[٢].

وعليه فالوسيلة هي الأداة التي يتوصل بها إلى تحصيل المراد، ولا يمكن بلوغ الهدف والمراد إلا بها.

رابعًا: تعريف الوقاية:

١- **تعريف الوقاية لغة:** مصدر قولهم: وقى يقي وهو مأخوذ من مادّة (وق ى) الّتي تدلّ على دفع شيء عن شيء بغيره، ووقاه: صانه، ووقاه: حماه منه، والوقاية: ما يقي الشّيء، أي: يحفظه. [٣]

٢- **تعريف الوقاية اصطلاحًا: قال الراغب:** هي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.[٤]، كما عُرفت بأنها: " فرط صِيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحِراف، ومُتابعة النفس الإنسانيَّة بالتوجيهات الإسلاميَّة الربانيَّة، عن طريق أخْذ الاحتياطات والتدابير الشرعيَّة التي تمنعُ من التَّردِّي في خَبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال؛ ليظلَّ الفردُ على الصراط المستقيم، مهتديًا للتي هي أقومُ في كلِّ جانبٍ من جوانب حياته"[٥]، وبناء على ذلك

(١) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صـ٣٠٠، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، المفردات في غريب القرآن للراغب صـ٦٧٨

(٢) التعريفات للجرجاني صـ٢١١

(٣) مختار الصحاح صـ٣٠٥، المعجم الوسيط صـ١٠٥٢.

(٤) المفردات صـ٦٨٨.

(٥) التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، لـ خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن الحدري صـ٢٣، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

فالوقاية معناها: حفظ الشئ وصيانته من أي ضرر وأذي ليظل سالمًا محفوظًا.

خامسًا: تعريف العلاج:

١- **تعريف العلاج لغة:** مأخوذ من العلج، وهو الرجل الشديد الغليظ، والعلاج: المراس والدفاع، ومزاولة كل شيء ومدافعته، وهو الدواء، فهو: اسم لما يعالج به. (١)

٢- **تعريف العلاج اصطلاحًا:** لم أجد من عرّف العلاج اصطلاحاً؛ لكنهم عرّفوا الدواء، وهو مرادف للعلاج كما هو معلوم، وقد عرفوا الدواء بأنه: اسم لما يُستعمل لقصد إزالة المرض أو الألم، كما عرفه الزرقاني في ثنايا شروحه بشكل عام فقال الدواء: القاطع لمادة العلة ولا يغني عنه غيره"(٢)

مما سبق يتضح: أن موضوع الدراسة: (الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم) يهدف إلى استنباط أهم طرق القرآن الكريم الوقائية والعلاجية التي شأنها أن تصون فكر المسلم ومجتمعه وتحميه من أي انحراف، متى تحقق الالتزام بها.

المطلب الثاني: الانحراف الفكري وضوابطه.

أولاً: تعريف الانحراف الفكري: يُعد مصطلح " الانحراف الفكري " من المصطلحات الحديثة فلم تذكر معاجم اللغة العربية تعريفاً له، ولعل ذلك يعود لعدة أسباب، منها:

---

(١) المعجم الوسيط صـ٦٢٠، ٦٢١.

(٢) ينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم جـ١/ صـ ٨٠١، محمد علي التهانوي، تحقيق/ رفيق العجم - علي دحروج، مكتبة لبنان، ط أولى، ١٩٩٦م، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للشيخ محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري جـ١/ صـ٢٩٢، دار الفكر بيروت،١٣٥٥هـ

١- أن الانحراف الفكري له جوانب عدة: فهناك انحراف فكري ديني، وانحراف فكري سياسي وانحراف فكري ثقافي وهكذا، لذا فإن مفهوم الانحراف الفكري يتصف بأنه نسبي متغير بمعنى: أن ما يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع قد لا يُعد كذلك في مجتمع آخر؛ وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية السائدة.

٢- أن الانحراف الفكري أصبحت له مرادفات كثيره منها: التطرف - التشدد – الغلو – التنطع - الإرهاب، غير أن علماء هذا العصر وضعوا له تعاريف عدة، اذكر منها:

١- **الانحراف الفكري بمعناه العام هو**: انتهاك للمعايير المتعارف عليها، ومحاولة الخروج على قيم وضوابط الجماعة ".[١]

٢- **وعُرف أيضًا بأنه:** ذلك النوع من الفكر الذي يُخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية للمجتمع، ويُخالف الضمير المجتمعي، وأهم من ذلك كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يُخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع.[٢]

٣- **وقيل هو:** انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية، والفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة.[٣]

---

[١] الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع، علي بن فايز الجحني، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد ١٢ صـ٦٣، كلية المعلمين في أبها، جامعة الملك خالد، (١٤٢٩هـ).

[٢] الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، أحسن مبارك طالب، صـ ١١٦، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (١٤٢٦هـ).

[٣] محمد سلامة محمد غباري، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث - العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه صـ٦، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ط ثانية، (١٩٨٩م).

ثانيًا: ضوابط الانحراف الفكري:

يمكن إيجاز ضوابط الانحراف الفكري في الآتي:

أ- كل فكر ورأي مخالف أو مناقض لنص الكتاب والسنة.

ب - كل تأويل للنصوص المتصلة بالاعتقاد لم يقره الأئمة من أهل السنة والجماعة في

القرون الثلاثة المفضلة، وبهذه الضوابط يتحدد ما يمكن وصفه بالانحراف الفكري.(١)

- **الأمر الذي يترتب عليه بعض النقاط الآتية:**

١- خرق عقيدة المجتمع المسلم وضوابطه وأطره المنظمة له، ومخالفة ما يؤمن به من قيم وأخلاق، الأمر الذي يترتب عليه خروج من يعتنق هذا الفكر عن وسطية الدين واعتداله، فإذا به بين أمرين متباعدين لا وسط بينهما، إما أن يسلك سبيل الغلو والتشدد في الدين، أو سبيل التفريط والتقصير في الواجبات الشرعية، وفي كلا الحالتين يمثل خطرًا على كيان المجتمع المسلم.

٢- الانحراف الفكري سبب رئيس من أسباب تفكك المجتمع وانحلاله، فمن عواقبه فقدان الأمن الوطني وضياع هيبة المجتمع في كثير من النواحي السياسية والاجتماعية وغيرها.

٣- الانحراف الفكري لا يلتزم بأمرين:

الأول: تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

الثاني: الأعراف والنظم السائدة في المجتمع المسلم.

٤- أن الانحراف الفكري ضد ما جاء به الإسلام، وهذا قد يكون كليًا أو جزئيًا، فصاحبه إما أن يمرق عن الدين بالكلية كما في بعض الأمور التي تتعلق

---

(١) حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، فضيلة الدكتور: عبد الله بن عبد العزيز الزايدي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٧، ص٢٣٩ الرئاسة العامة للبحوث والافتاء، المملكة العربية السعودية.

بالاعتقاد[١]، وإما أن يكون انحرافه جزئيًا من خلال إلزام النفس بما لم يلزمها به الدين الحنيف[٢]، أو تحريم بعض ما أحل الله - تعالى - من الطيبات والمباحات[٣].

وحقيقةً فإن هذا الانحراف الأخير ما هو إلا بداية للانحراف الكلي إن لم يجد من يقومه ويعالجه ويتدارك أمره

---

(١) وهذا الانحراف الكلي أشار إليه النبي ﷺ بقوله " إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ". جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، كتاب المغازي - باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع جـ٤/ صـ١٥٨١، ١٥٨٢، رقم (٤٠٩٤)، دار ابن كثير، دمشق - لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ومسلم في صحيحه للحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي :كِتَاب الزَّكَاةِ - بَاب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، جـ٢/ صـ٧٤١، حديث رقم (١٧٦٢)، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) كما في الحديث الذي رواه ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ "، رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور - باب النذر فيما لا يملك وفي معصية جـ ٦/ صـ٢٤٦٥، رقم (٦٣٢٦).

(٣) كما في قصة عثمان بن مظعون، فقد كان - رضوان الله عليه - من أشد الناس اجتهادًا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل. ووصل به الحد في العبادة أنه ترك وتجنب الشهوات، واعتزل أهله، تروي السيدة عائشة – رضى الله عنها – الواقعة فتقول: دَخَلَتْ عَلَيَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَذَاذَةَ هَيْئَتِهَا فَقَالَ لِي يَا عَائِشَةُ مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتْهَا قَالَتْ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ فَقَالَ يَا عُثْمَانُ أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي قَالَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ قَالَ فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ " (الحديث أخرجه أحمد في المسند :للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، باقي مسند الأنصار- حديث السيدة عائشة رضي الله عنها جـ ٦/ صـ ٢٦٨، رقم (٢٥٧٧٦)، ط دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

المبحث الأول: نشأة الانحراف وعوامله

مصطلح الانحراف الفكري وإن كان حديثًا إلا أن نشأته قديمة بقدم الديانات والأمم، فهو موجود على مر الدهور الغابرة، ظهرت جذوره وامتدت منذ بداية الخليقة، لكنه سيكثر آخر الزمان، وقد تصدى له أنبياء الله ورسله - عليهم السلام -، فما من نبي بعث إلا جاء يدعو قومه إلى الصراط المستقيم - طريق الجادة - بعد أن انحرفوا عنه، وسار على النهج نبينا الكريم ﷺ فتصدى له عندما ظهر في هذه الأمة، ولهذا تضافرت الأدلة سواء من القرآن الكريم أو الهدي النبوي الشريف تنهى عنه وتحذر منه، موضحة لأسبابه، وواضعة طرائق العلاج الشافية الكافية.

لكن منشأ الانحراف عامة يرجع إلى طبيعة النفس الإنسانية وقابليتها للانحراف، يشهد لذلك قوله – تعالى -: " **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**"(١)، قال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآيات: " فالله - تعالى - خلق تلك النفس أولاً، ثم سواها على حالة تقبل تلقي الإلهام بقسيمه: الفجور والتقوى ثم تسلك أحد الطريقين"(٢)، وقال ابن عطية– رحمه الله – " فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا " أي: عرفها طرق ذلك، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى"(٣)
إذاً فظهور الانحراف مرتبط بوجود الإنسان وأدلة ذلك كثيرة منها قوله – تعالى –: " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**"(٤) لكن الانحراف - كما أشرت آنفًا - إما أن ينتج عن فكر مخالف أو إنكار للنصوص الشرعية، أو فهمها فهمًا خاطئاً وتأويلها بما يتوافق مع الهوى

(١) الشمس: ٦ -١٥.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي جـ٨/ صـ ٥٤٠، ط دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية عبد الحق بن محمد بن عطية الأندلسي جـ٨/ صـ٦٢٩، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، الطبعة الثانية.
(٤) البقرة/٣٠.

والمذهب، أو قد يكون الانحراف نتيجة لإهمال العقل وعدم استخدامه استخداماً مهتدياً، وفيما يلي ذكر لبعض العوامل التي كان لها دورٌ كبيرٌ في ظهور الانحرافات بشكل عام منذ القدم:

١-الشيطان - لعنه الله -: معلوم للجميع عداوة إبليس لبني آدم، وحرصه الشديد على إضلالهم، وإقسامه بعزة الله أنه سيسعى لإغوائهم بكل السُبل، وأنه سيقعد لهم على صراط الله المستقيم ليضلهم ويصرفهم عنه، قال - تعالى - واصفاً عمل إبليس: " **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ**"(١)، وقَالَ ﷺ " **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ** ".(٢).

ولقد صدق ظن إبليس في غالب بني آدم، فاستطاع إغواءهم وإضلالهم عن الدين الحق، وصرفهم إلى الأديان الباطلة والمعتقدات الفاسدة، كما قال تعالى " **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ** "(٣)، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: " إن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضًا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصًا على السنة وشدة طلب لها: لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها فأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا له: إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتر مع أهل الفتور ولا تنم مع أهل النوم فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها كما أن الأول خارج عن هذا الحد فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر، وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وكلا

---

(١) الأعراف: ١٥ -١٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الِاعْتِكَافِ - بَاب زِيَارَةِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا فِي اعْتِكَافِهِ جـ ٢/ صـ ٧١٧، رقم (١٩٣٣).

(٣) سبأ/٢٠.

الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف" (١)

٢-اتباع الهوى: والمراد به في الاصطلاح: " السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو الرجوع إلى شرع، أو تقدير لعاقبة" (٢)

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: " اتباع الهوى ترجيح ما يحسن لدى النفس من النقائص المحبوبة، على ما يدعو إليه الحق والرشد، فالاتباع مستعار للاختيار والميل، والهوى شاع في المحبة المذمومة الخاسرة عاقبتها" (٣). هذا وقد حذر - سبحانه وتعالى – ونهى عن اتباع الهوى لكونه سببًا في الزيغ والانحراف، فقال جل وعلا: " **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**". (٤)، كما ورد التحذير من اتباع أهل الأهواء كما في قوله: " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ**

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي جـ٢/ صـ١٠٧، ١٠٨، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، وهذا ما أخبرنا به الرسول الكريم، في حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فجاء النبي فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ " (أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه جـ٦/ صـ٢٥٤١، (٦٥٣٤).)

(٢) آفات على الطريق جـ١/ صـ ١٩٢، للدكتور السيد محمد نوح، دار الوفاء المنصورة، ط أولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، جـ١٠/ صـ١٧٧، دار سحنون، تونس.

(٤) ص/ ٢٦.

لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ". (١)

٣-التقليد الأعمى: وهو سبب قوي للانحرافات الدينية والفكرية والسلوكية، وغشاء من الأغشية على العقل من الانطلاق والتدبر والتفكر، وقد وردت آيات كثيرة تندد بالتقليد الأعمى والسير على خطى الآباء دون تفكير أو إرادة أو وعي، كما في قوله تعالى: " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ** ".(٢)، **وأيضًا** " قال تعالى: " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**"(٣)

والتقليد الأعمى ينشأ عادة عن التعصب، والثقة المطلقة بالشخص الذي يُقلد، وبمنهجه وطريقة اجتهاده، وحياته، فالتابع على سبيل المثال، الذي يقلد إمامه دون بصيرة في كل خطوة يخطوها، يقع في كل الأخطاء التي يقع فيها إمامه تلقائياً.

٤- البيئة الحاضنة للانحراف:

إن وقوع الإنسان في بيئة حاضنة للانحراف(٤) تغذي في نفسه دوافع الانحراف، وتفتح ذرائعه، وتخلخل الأصول الفكرية التي تشد المسلم وتقويه، إلى أن ترمي به في مهبِّ ريح الضلالات تعبث به كما تشاء، لذا كان رسول الله ﷺ يكثر من الدعاء بـ « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** »، ولما سُئل عن سبب ذلك قال: « **إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ**

(١) الجاثية/ ١٨-١٩.

(٢) البقرة/ ١٧٠.

(٣) المائدة/ ١٠٤.

(٤) بيئة الانحراف الحاضنة تتميز بثلاث خصائص أساسية: (التزهيد في اليقين، تفكيك الأصول الشرعية، الدفع نحو الانفتاح الفوضوي) هذه العوامل هي البيئة الحقيقية للانحرافات التي تعصف ببعض الشباب، وتجعل روح الشاب محلاً قابلاً للانحراف، وإن اختلفت جهته ومقداره. (للاستزادة راجع https://saaid.net/arabic/٥٧٠.htm)

أَزَاغَ »[١]، فلا أحد في مأمن أن يتعرض للانحراف والبعد عن ثوابت الدين والفكر؛ إلا أنه شتان بين من يبذل الأسباب الموجبة للثبات والحفظ والنجاة **"وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"** [٢]، ومن يفتح على قلبه ذرائع الشكوك ودوافع الشبهات **" فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"** [٣]، لهذا يتعين على المرء أن ينأى بنفسه عن مجالس المنكر عموماً، ومجالس الانحراف الفكري خصوصاً، امتثالاً لقوله - تعالى -: **"وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا "**[٤] قال القرطبي في قوله "إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ": دل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر؛ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها؛ فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية...وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي كما بينا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى).[٥]

---

(١) سنن الترمذي: كتاب القدر عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن جـ٤/ صـ ٣٩، رقم الحديث (٢١٤٠)، من حديث أنس، قَالَ أَبُو عِيسَى: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. (سنن الترمذي لأبي عيسي محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان).

(٢) العنكبوت/ ٦٩

(٣) الصف/٥.

(٤) النساء/١٤٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي جـ٥/ صـ٣٥٧، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٢/٢٠٠٢م.

المبحث الثاني: أسباب الانحراف الفكري

توطئة: يعد الانحراف الفكري ظاهرة مركبة لا تتوقف على سبب واحد لأن أسبابها متنوعة ومتداخلة منها ما هو ديني، أو سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو نفسي، ومنها ما هو خليط من هذا كله أو بعضه، وقد يكون السبب ذاتياً مرتبطاً بالشخص المنحرف فكريًا، أو أسرته، وقد يكون المجتمع ذاته، وهذا أمر لا جدال فيه فمن طبيعة الظواهر أن تكون مؤلفة من مجموعة أسباب مركبة وظروف مختلفة تتكامل جميعها لتشكل الظاهرة؛ وبالبحث والاستنباط توصلت الباحثة للعديد من أسباب الانحرافات الفكرية، وفيما يلي بيان لأبرزها، والتي تعد دافعًا رئيسًا للانحراف:

١- البُعد عن مصدري التشريع الإسلامي الكتاب والسنة:

وهذا من أهم الأسباب المؤدية إلى ظهور الانحرافات الفكرية المختلفة كالغلو في الدين والتشدد فيه والتنطع ومجاوزة الحد فيما أمر الله ورسوله وغيرها، فالمجتمع الذي يعدل عن الكتاب والسنة يعيش في ظلمات الفتن، وينعدم نور الحق في عقول معظم أفراده، فتنتشر الدعوات المنحرفة وتنمو بسبب غياب الحق وانزوائه، لاسيما تلك الدعوات التي تعمل تحت راية الإسلام، لذا توعد – سبحانه – من خالف أمره ورسوله بالعقوبة العاجلة والآجلة فقال – تعالى -: " **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ". الضمير في "أمره" كما ذكر المفسرون لله - سبحانه - لأنه الآمر حقيقة، أو للرسول ﷺ لأنه المقصود بالذكر، والمعنى: فليحذر وليخش من خالف دين الله وشريعة رسوله باطنًا أو ظاهرًا " **أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ** " أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، " **أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**": في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك، والشاهد: أن الله - تبارك وتعالى - قد حذر من مخالفة أمره وتوعد بالعقاب عليها، فتحرم مخالفته، ويجب امتثال أمره. (١).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٦/ صـ٩٠ بتصرف يسير، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٢/ صـ٢٩٩.

كما حذر النبي ﷺ من مخالفة الكتاب والسنة، ويبين أن مخالفتهما بدعة وضلالة وشر عظيم فكان يقول في خطبه ﷺ: " **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** "(١)

ويقول :ﷺ " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"(٢)، فهذه النصوص وأمثالها تحذر من البدع والمبتدعين، إذ البدعة أصل الزيغ عن الدين، وفساد الدنيا والآخرة، والمبتدع ضرره على النوع لا نفسه، وفتنته في أصل الدين، كما أنه يقطع على الناس طريق الآخرة.

٢- الجهل بحقيقة الدين الإسلامي:

الجهل سبب لكل داء، فالجهل بحقيقة الدين وعدم التفقه فيه يؤدي إلى الخروج عن منهج الاعتدال، ومن ثم الانحراف لعدم قدرة الجاهل على ربط الجزئيات بالكليات، ورد المتشابه إلى المحكم، وعدم القدرة على التحقيق في الخلاف، ومع ذلك فالجاهل يظن نفسه من أهل العلم والاجتهاد، وهو في الحقيقة لم يبلغ تلك الدرجة لقلة بضاعته من العلم الصحيح، فإن العلم بظواهر النصوص الشرعية دون عللها ومقاصدها لا يكفي لبلوغ درجة الاجتهاد.

ولخطورة الجهل نجد القرآن الكريم والسنة الصحيحة حافلين بالنصوص التي تحذر منه وتبين خطورته، وتحث على العلم وتبين فضله، قال الله – تعالى –: " **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** "(٣)،

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة جـ٢/ صـ٥٩٢، من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع جـ٥/ صـ ٤٤، رقم (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) الإسراء/٣٦.

وقال – تعالى –: " **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُون** ".(١)

فالآيتان تبينان أن أبرز صور الجهل: القول على الله بغير علم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – تعالى –: " فَمن ظهور الجهل ظهور الْكَلام في الدّين بغير علم، وهو الكلام بغير سلطان من الله، وسلطان الله كتابه ".(٢)

ومعلوم أن القول على الله بغير علم من أسباب الانحراف في الاعتقاد، وقد أشار إلي ذلك ابن القيم بقوله: " ويلي ذلك في كبر المفسدة القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فهذا أشد شيء منافاة ومناقضة لكمال من له الخلق والأمر.(٣)

كما أن الواقع يشهد بأن الجهل أصل كل شر، فمروق الخوارج وغلوهم سببه جهلهم بما دل عليه الكتاب والسنة كما بين ذلك العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فقال رحمه الله: "فلا يبعد أن يجيء في آخر هذه الأمة من يقول بقولهم ويرى رأيهم"(٤)

وهذا القول ما هو إلا قبس من كلام نبينا ﷺ إذ قال: " **سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ**

(١) الأعراف/٣٣.

(٢) ينظر الاستقامة، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، جـ١/ صـ ٤٥٧، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود -المدينة المنورة.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، صـ١٤٤، دار المعرفة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، جـ٤/ صـ٣٧٢، ط٢، عام ١٤٠٩هـ، دار العاصمة، الرياض.

حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".(١)

وهذا ما حدث ويحدث إذ ظهر الكثير من الشخصيات والفرق المنحرفة فكريًا يلوون أعناق النصوص، أو يتأولونها على غير وجهها وهذا لاشك سببه الجهل بمقاصد الشرع، والقول بغير علم، وبهذا يتبين أن الجهل والقول على الله بغير علم من أسباب الانحراف الفكري التي بينها الله في كتابه وحذر منها، وبه تتضح أهمية اجتناب هذا السبب الخطير والتحذير منه.

٣- اتباع الشبهات، والميل إلى الهوى والشهوات.

معلوم أن الشبهات تمنع القلب من معرفة الحق من الوحي والعلم الصحيح، وهي تعرض في

المتشابه أكثر من المحكم، ولهذا جاء في القرآن " **فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**"(٢) فيحصل بذلك الاتباع الميل عن الحق، كما قال – تعالى –: "**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**" (٣)، وأصل الميل العدول والانحراف وبهذا يعلم أنه في اتباع الشبهات ميل عن السمع والطاعة، وعن تمحّض الاستمساك بالوحي الذي أمر الله به في قولـــه: "**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**"(٤).

أيضًا اتباع الهوى سبب للانحراف العقدي والفكري، فمُنحرِف الفكر " تُزيّن له أهواؤه وشهواته ومطالبه صورة من صور الباطل فتجعله ينادي بأنها هي

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب التحريض على قتل الخوارج جـ٢/ صـ٧٤٦،٧٤٧، رقم (١٧٧١).
(٢) آل عمران/٧.
(٣) النساء/٢٧.
(٤) الزخرف/٤٣.

الحق"[1] فترك الصلاة وسائر أركان الدين، وارتكاب الموبقات، من زناً، وفواحش وغيرها، واتباع كل ما تميل له النفس دون النظر في المباحات والمنهيات، كل ذلك يُعد تطرفاً وبُعداً عن الوسطية، وهو دليل على انحراف الفكر عن المنهج الصحيح الذي رسمه الإسلام لمتبعيه.

وقد بين الله - عز وجل - أن معارضة الكفار لدعوة الحق وعدم استجابتهم لها إنما هو بسبب اتباعهم لأهوائهم فيما اعتقدوه من عقائد، قال - تعالى -: " **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**".[2]

وكما أن اتباع الهوى والظن وترك الثابت والصحيح من مصادر الشرع من وسائل الانحراف الفكري، فإنه أيضًا وسيلة لظهور البدع وانتشارها " والمتأمل لحال أهل الأهواء والافتراق والبدع يجد أن من أعظم أسباب إصرارهم على بدعهم: الهوى وما تميل إليه نفوسهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أن منهجهم يقوم على اتباع الظن "[3].

وقد ضرب نبينا ﷺ مثلاً رائعاً لاتباع الأهواء والشهوات، فقال: " **إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**" [4].

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن حسن حنبكة الميداني صـ٦٥١، دار القلم، دمشق، (١٤٢٠هـ).

(٢) القصص/٥٠

(٣) رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها لناصر بن عبدالكريم العقل صـ٣٦٤، دار الوطن، الرياض، (١٤٢٣هـ).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب الانتهاء عن المعاصي جـ ٥/صـ٢٣٧٩، رقم (٦١١٨) من حديث أبي هريرة – رضى الله عنه -

وهذا المثل يبين خطورة اتباع الأهواء والشهوات، والانسياق وراء اللذات المحرمة، فمقصود المثل تشبيه الذين يندفعون وراء شهواتهم من غير روية ولا تفكير في العاقبة، بهذه الفُرش التي جذبها ضوء النار فسعت إلى ما فيه هتفها، وأنه ﷺ كالممسك بحُجَزِهِم لئلا يقعوا في نار جهنم التي حفت بالشهوات، ومع ذلك فإنهم يغَلِّبون هواهم، ويحرصون على تحصيل تلك اللذات والشهوات، فالحذر الحذر يا أمة الإسلام.

٤ـ البعد عن العلماء[١] ورجال الدين:

للعلماء مكانة وفضل، فهم ورثة الأنبياء، وهداة الخلق إلى الحق، وهم مصدر تلقي العلم الصحيح، وهم أهل الذكر الذين أمرنا الله ـ تعالى ـ بسؤالهم في حال الجهل، أو الشك، كما قال ـ سبحانه: " **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** " [٢]

من هنا فإن عدم التلقي عن العلماء وأهل الفضل منذر بخطر عظيم وانحراف مبين، إذ لا يخفى أثر العلماء الربانيين في ترسيخ معالم الوسطية والدعوة إلى الاعتدال، بخلاف أهل البدع والانحراف الذين يريدون أنّ يخرقوا سفينة الأمة بأنواع من الأفكار المنحرفة غلواً أو تفريطاً، لذا أمرنا الله بالرجوع إليهم فقال – تعالى -: " **وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** " [٣]، قال الإمام السعدي في معنى الآية: " ينبغي للعباد إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة أن يردونه إلى الرسول وإلى

(١) أعني بالعلماء: المشهود لهم بسعة العلم، وصحة العقيدة، وسلامة المنهج، والتقوى والخشية من الله – تعالى -.
(٢) النحل/٤٣.
(٣) النساء/٨٣.

أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها "[1].

كما بين نبينا الكريم ﷺ أن قبض العلماء وعدم أخذ العلم عنهم هو سبب الضلال والميل عن طريق الجادة، فقال ﷺ " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** "[2]. فالحديث يوضح أن بداية الضلال قبض العلماء وتصدر الجهلاء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهنا مكمن الخطورة فهؤلاء يتشبهون بأهل العلم مما يلبس الأمور على العباد فلا يُعرف العالم من الجاهل، فتكثر الفتن وتضل الأمة سبيل الحق.

٥- سوء التنشئة الاجتماعية:

تُعد الأساليب الأسرية السلبية دافعًا للاضطرابات النفسية وسببًا للانحرافات السلوكية والفكرية لدى الأبناء، ولعل من أخطر الأساليب السلبية: الرفض والقسوة، أو التدليل الزائد، أو نقد الوالدين الدائم لتصرفات أبنائهم، والعقاب لأدق الأسباب، وعدم التغافل عن الأخطاء، وغيرها كثير، مما يحدث صدعًا وضعفاً في جوانب شخصية الأبناء يظهر انعكاسها في الفكر والسلوك مستقبلاً، فالتنشئة السليمة أساس مهم في بناء الإنسان والمجتمع بناءً قويًا، في ذات الوقت التربية السيئة هي أساس اضطراب المجتمعات وانحراف أفرادها فكريًا وسلوكيًا، وسوء مصير في الآخرة، قال – تعالى –: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي جـ٢/ صـ٣٣١، دار ابن الجوزي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب كيف يقبض العلم/ جـ١/ صـ٥٠، رقم (١٠٠).

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ"[1]، قال ابن الجوزي: " وقاية النفس: بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، ووقاية الأهل: بأن يؤمروا بالطاعة، وينهوا عن المعصية "[2]

فعلى الولي أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله بالتعليم والتأديب، إصلاح الراعي للرعية، ففي صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال: " **أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ** "[3].

لذا جاء الوعيد الشديد في حق من ضيع رعيته، قال ﷺ "**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**"[4]، وقد أحسن من قال: " اعلم أنَّ الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش وقابل لكل ما يمال به إليه، فإنّ عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه "[5]

---

(١) التحريم/٦.

(٢) زاد المسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، جـ ٨/صـ٣١٣، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم جـ٣/ صـ١٤٦٠، من حديث ابن عمر – رضى الله عنه.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار جـ١/ صـ١٢٥، رقم (١٤٢)

(٥) المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، جـ٤/ صـ ٢٩٥، دار الفكر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٦- الغلو والتطرف في الدين[١]:

وهما من أبرز مظاهر الانحراف الفكري، ومن أعظم مُهددات أمن الافراد والمجتمعات، بل وأشدها خطرًا على الأمة، وتشتد الخطورة عندما يكونا في الاعتقاد، حيث ارتكب باسم الدين

أبشع الجرائم خاصة في عصرنا الذي نعيشه، إذ الغلو كما هو معلوم، نوعان:

أ- غلو كلي: وهو ما يتعلق بكليات الشريعة وأمهات مسائلها؛ كالغلو في الأئمة، وادعاء العصمة لهم، والبراءة من العصاة، وتكفيرهم.

ب- غلو الجزئي: يتعلق ببعض جزئيات الشريعة، ومن مجالاته التشديد على النفس، وتحريم الطيبات، والخروج على الحكام، وإباحة الاغتيال، وهكذا.

وأيًّا كان نوع الغلو فهو مذموم شرعًا، لذا نهى الإسلام عنه لاسيما لو كان في الدين، قال – تعالى –: " **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا**

(١) الغلو في اللغة مُشتق من " غَلاَ غُلُوّاً أي زاد وارتفع، وجاوز الحد، فهو غالٍ، وفلان غلا في الأمر والدين: تشدد فيه وجاوز الحد و أفرط، فهو غالٍ، وجمعه غُلاةٌ ". (المعجم الوسيط صـ ٦٦٠)، والتَطَرَّفَ في اللغة: يقال أتى الطرف، وتَطَرَّفَ في كذا: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط، والطَّرَفُ من كل شيء منتهاه، وطَرَفْاه، أي: جانباه، وتَطَرَّف الشيء: صار طرفاً " (المعجم الوسيط صـ ٥٥٥، لسان العرب جـ٩، صـ١٠٧)، وعليه فالتطرف هو " مجاوزة الحد، والبعد عن التوسط والاعتدال، بالانحياز إلى طرفي الأمر، إما بإفراط أو تفريط.

ويظهر الفرق بينهما: أن التطرف يشمل الغلو لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف أو بمعنى آخر كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرف غلواً ". (الغلو في الدين، علي عبدالعزيز الشبل صـ٢٣، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ).

أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ"(١)، وقوله " **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ....** " (٢).

قال الإمام السعدي- رحمه الله -: " ينهى - تعالى - أهل الكتاب عن الغلو في الدين وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع، وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليه السلام، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك"(٣).

فأهل الكتاب أهل غلو، والمؤسف أن حذا بعض أبناء أمتنا الإسلامية حذوهم، حتى ابتليت به الأمة وصار واقعًا فيها - أسأل الله السلامة -، لهذا حذرنا رسولنا الكريم ﷺ مبينًا أنه سبب هلاك من قبلنا، فقال: "**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**". (٤)، كما بين ﷺ أن كل متنطع غالي متعمق مجاوز للحد في قوله وفعله هالك لا محالة، فقال ﷺ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ "(٥) قَالَهَا ثَلَاثًا.

٧- التأثير السلبي لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي: يعد الإعلام بوسائله المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة، وكذا برامج التواصل الاجتماعي من أكثر وسائل الغزو الفكري استخداماً في هذا العصر، بل أخطرها؛ لما تحمله من قوة التأثير وسعة الانتشار، ومُخاطبة جميع فئات وطبقات المجتمع، لذا باتت هذه

(١) المائدة/٧٧.

(٢) النساء/١٧١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للإمام عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي جـ٢/ صـ٣٨٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه كِتَاب الْمَنَاسِكِ: بَاب قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ جـ ٢/ صـ١٠٠٨، رقم (٣٠٢٩)، من حديث ابن عباس. (سنن ابن ماجه للإمام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.)

(٥) صحيح مسلم: كتاب العلم: باب هلك المتنطعون جـ ٤/ صـ ٢٠٥٥، رقم (٢٦٧٠)

الوسائل سلاحًا ذو حدين إيجابًا أو سلبًا، فالتأثير السلبي الذي تلعبه هذه الوسائل من خلال ما يُعرض من مواد وبرامج تُخالف ما يؤمن به أفراد المجتمع من عقيدة، وتُصادم ما لديهم من أخلاق وقيم ومبادئ، وأيضًا نشر الأفكار والعقائد المنحرفة، وبث الاتجاهات الفكرية المخالفة للإسلام، وتشويه الثقافة الإسلامية بما تحويه من فكر ومعتقد وقيم ومبادئ وغيره كثير، مما أفسد علي البعض دينهم وفكرهم، وجعلهم تحت وطأة إعلام يوجه أفكاره، ويُصيغ سلوكياته، فاتسعت الفجوة بين ما يعتقده ويؤمن به من دين وقيم، وبين ما يفعله، متأثراً بما يراه ويسمعه من ذلك الإعلام المسموم، والمُحزن أنه لم يعد بمقدور الإنسان أن يتجاهل هذه الوسائل، وهي تلاحقه في كل مكان وزمان من خلال التلقي بالكلمة، أو الصورة، أو الصوت دون تثبت، لذا توعد ربنا بالعذاب لمن خاض في حادث الإفك فقال: **"وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ"**(١) فالآية الثانية تضمنت ثلاثة آثام مرتبة، هى: تلقي الإفك من الكلام بالألسنة، التحدث به من غير تحقق، واستصغار الناقلين له، والشأن أنه عند الله عظيم، هذه الآثام عُلق بها مس العذاب العظيم في الآية التي تسبقها.(٢)

يقول الدكتور ناصر بن سليمان العمر: " إن الحقيقة المرة تشير إلى سيطرة الغرب وأتباعه على معظم وسائل الإعلام العربية، وتوجيهها بما يخدم أجندة الغرب، وإلى ضعف الإعلام الإسلامي كمًا وكيفًا، وإذا كان للإعلام في الماضي دور كبير في نشر العلمانية والترويج لها ولأفكارها وسلوكياتها في العالم العربي، وما نجم عن ذلك من علمنة حياة المسلمين سياسيًا واقتصاديًا واجتماعياً إلى حد كبير، فإن دور هذا الإعلام يزداد تأثيرًا سلبيًا في الآونة الأخيرة، من خلال الحملة الشرسة على الثوابت الإسلامية، والتي لم تقتصر على الفرائض

(١) النور/١٥.

(٢) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي جـ٤/ صـ١٠١، ط دار إحياء التراث العربي.

والواجبات في مجال التشريع الإسلامي، بل وصلت إلى حدود التشكيك بالعقيدة الإسلامية والإيمان بالله تعالى، ناهيك عن فوضى الفتوى التي تحاول وسائل الإعلام نشرها، من خلال إطلاق مصطلح المتنور والشجاع على كل من يتجرأ على الفتوى المخالفة للسنة وسيرة السلف الصالح، وإجماع العلماء الثقات في العصر الحاضر.[1]، لهذا وغيره يبرز خطر هذه الوسائل على الدين والفكر.

٨- التعصب الفكري للرأي أو المذهب [٢]:

---

(١) للاستزادة http://www.almoslim.net/node/٢٢١٦٧١

(٢) التعصب من العَصَبِيةُ، والعَصَبيَّةُ: أن يدعو الرجلَ إلى نُصرةِ عَصَبَتِهِ والتألُّب معهم على من يُناوئُهُم ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد سئل رسول الله،مَا الْعَصَبِيَّةُ ؟ قَالَ: أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ"، وَيقال تَعَصَّبَ بِالشَّيْءِ وَاعْتَصَبَ، أي: تَقَنَّعَ بِهِ وَرَضِيَ. (لسان العرب جـ١٠/ صـ١٦٦، والحديث أخرجه أبو داود في سننه: أبواب النوم: باب في العصبية جـ ٤/ صـ ٣٣١، رقم (٥١١٩)، (سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المكتبة العصرية)، أما مصطلح التعصب الفكري فهو مصطلح حديث يُقصد به كما عرفه البعض: التحيّز لرأي معين ومُساندته بغض النظر عن قوته، أو قوة مرجعيته وصلاحيته، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، وما يترتب عليه من التناحر مع المخالفين، والترويج للرأي المتَعَصَب له، بل اتهام المخالفين بالجهل والتخلف وعدم العدالة وسوء الفهم.

كما عُرف أيضًا بـ: المغالاة في التشبث بالرأي والإصرار عليه، أو بالأفكار والمعتقدات، حتى لو كانت خاطئة، أو نتيجة عدم فهم أو وعي حقيقي بالمضمون الكامل خلف تلك المعتقدات ". (ينظر التطرف والإرهاب لأحمد شوقي الفنجري صـ٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٣ م، الإرهاب والشباب لمحمد يسري دعبس صـ١٣، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٦ م)

وقد أثبت الواقع والأحداث الجارية في عالمنا المعاصر أن المتعصب فكريًا ما هو إلا إنسان جاهل، متحجر الفكر، غافل عن رؤية مقاصد الشريعة السمحة، وعن تغيرات العصر، وفقه الواقع، وكذا ظروف الزمان والمكان.

فأصبح لا يقبل آراء الآخرين ولو ظهر أنها ذات برهان وحجة، بل يسعى إلى إلزام الآخرين بفكره، ولو كان الصواب يجانبه، والحق يخالفه.

يعد التعصب الفكري مظهرًا من مظاهر الانحراف، لخطورته الجلية على الأمن الفكري، فهو يجر على الأمة الويلات، كهدم عُرى الوحدة، وإشعال فتيل الفتنة بما يثيره من الفرقة والتشرذم، الأمر الذي يُبعد صاحبه عن الحيادية، والعدل، والوسطية، والاعتدال في التصور والحكم، فيقوم من يُصاب به " بالانغلاق الفكري، والانكفاء على الذات، ومصادرة آراء الآخرين المعارضين لذلك الشخص الذي يسير على هذا النهج، والذي قد يصل به الأمر إلى درجة الرفض وعدم قبول مُناقشة الآخرين، أو الحوار معهم "[1]، ومعلوم أن التعصب له ألوان، أهمها:

أ- تعصب للرأي: سواء كان الرأي لنفسه أو شيخه أو معلمه... فيتشبث به، تعصباً ولجاجاً، تاركاً ومنكرًا رأي من يخالفه، وتكمن الخطورة عندما يستيقن المتعصب صحة قوله، وأنه أمام الدعوة إلى القيم الصالحة، مستخفًا في ذات الوقت بآراء الآخرين، رافضًا إياها، بل قد يصل الأمر إلى اتهامهم بالجهل، أو بالكفر والمروق عن الدين، وهذا من الإرهاب الفكري الذي لا يقل خطورة عن الإرهاب المادي، لهذا تبرأ رسولنا الكريم ممن كان دأبه التعصب، فقال ﷺ: " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ**"[2]، أي: ليس من أهل ملتنا من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية، وهي معاونة الظالم.[3]، ويترتب على هذا اللون من التعصب: الفرقة، والاختلاف، والتباغض، والفتن، واتباع الأهواء، والتي بدورها تؤدي لضعف الأمة وتفتتها وانقسامها.

(١) دور المؤسسات التربوية للوقاية من الفكر المتطرف، تيسير بن حسين السعيدين صـ٣٥، مجلة البحوث الأمنية، العدد ٣٠، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: أبواب النوم: باب في العصبية جـ ٤/ صـ ٣٣٢، رقم (٥١٢١)

(٣) ينظر عون المعبود، للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي جـ ١٤/صـ٢٢، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

ب- تعصب للجماعة أو المذهب أو العرق:

وأيًا كان هذا التعصب فإنه يمثل داءً اجتماعيًا يُهدد المجتمع في وحدته، ويتنافى مع الانتماء الوطني، ويزعزع الأمن الاجتماعي، إذ يقوم على الغلو والتطرف في التعلق بالجماعة، فالمتعصب لجماعة ما لا يقبل إلا ما تُمليه جماعته من أفكار وتُنادي به، فكل ما يصدر عنها هو الحق، وما يُخالفها باطل، وتراه لا يسمح بنقد جماعته، بل يتجهم على من يعترض على آرائها وفكرها.

أيضًا يُعد التعصب العرقي أو المذهبي من أخطر الانحرافات التي تُهدد أمن المجتمع وكيانه، إذ يترتب على هذا اللون من التعصب: الفرقة، وإثارة النعرات، وإشعال نار العداء، وإيقاظ الفتن، وغيرها مما يُخالف منهج الإسلام الذي يقوم على المساواة والعدالة والمحبة والتعاون، وقد عد الإسلام التعصب أحد أمور الجاهلية، قال- تعالى-: " **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**...."[(١)]، والحمية لفظ رديف للعصبية أو التعصب، "ويقال لحالة الغضب، أو النخوة، أو التعصب المقرون بالغضب حميّة، وهذه الحالة السائدة في الأُمم هي بسبب الجهل، وقصور الفكر، والانحطاط الثقافي خاصةً بين "الجاهليّين"، وكانت مدعاة لكثير من الحروب وسفك الدماء"[(٢)]، ورضى الله عن الإمام على بن أبي طالب القائل: "**إبليس اعترضته الحميّة، فأفتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية**"[(٣)]، فمن هذا الأثر تبين أن مؤسس التعصب إبليس-عليه لعنة الله -، كما يُعد خُلة من خُلل الجاهلية، إذا ابتُلى به الإنسان تجمد عقله، وطُبع على قلبه، وسقط في دركات الإثم والشقاء.

---

(١) الفتح/٢٦.

(٢) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل للإمام ناصر مكارم الشيرازي جـ١٦/ صـ٤٤٢، مؤسسة البعثة –بيروت-الطبعة الأولى١٩٩٢م.

(٣) نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه -، شرح غريبه الشيخ محمد عبده -الخطبة القاصعة صـ٢٠٠، المطبعة الأدبية – بيروت -١٨٨٥م.

٩- غياب الوعي عن بعض الحقائق:

واقتصرت هنا على ثلاث حقائق لأهميتها، هى: وسطية الإسلام ويسره - حرمة دم المسلم وغيره - مخاطر الانحراف وعواقبه، وفيما يلي البيان:

أ- غياب الوعي بوسطية الإسلام ويسره:

من الحقائق التي لا يسع عاقل إنكارها أنه متى جهل افراد هذا الدين القويم وسطيته وعدالته ويسره ظهر فيهم الغلو والتطرف، والبدع والخرافات، وكثر الانحراف العقدي والفكري، وفسدت أخلاق شبابه، إذ إهمال رعاية الشباب من قبل الأسرة، والعلماء، والدعاة، والدولة، وعدم تربيتهم على المنهج الوسط والفكر المعتدل القائم على العلم الصحيح يؤدي إلى ظهور الانحرافات بل وانتشارها، وقد حذرنا رسولنا ﷺ من ذلك عندما قال: "**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"(١).

فقوله ﷺ " أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ" يُقصد به: الشباب الذين هم مقدرات الأمة وثرواتها الحقيقية، قال ابن الحجر - رحمه الله - " الحدث هو الصغير السن، والمراد أنهم الشباب "(٢)، وقال أيضًا ﷺ مبينًا سماحة الدين: " **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ** "(٣)، وفي السطور التالية سرد مختصر لبعض **أسباب ابتعاد الشباب عن منهج الوسطية**:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم: باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم جـ٦/ صـ٢٥٤٠، رقم (٦٥٣١)، كما أخرجه مسلم في صحيحه ينظر صـ٢١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني جـ١٢ /صـ ٣٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الدين يسر جـ١/ صـ٢٣، رقم (٣٩)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه -.

١- الافتقار إلى البيئة التربوية والاجتماعية المشجعة على الحوار والنقاش وممارسة حرية الرأي والفكر.[١]

٢- الظروف الاقتصادية، ومعاناة الفقر والجهل وانتشار البطالة بالمجتمع، وقلة فرص العمل المناسبة للشباب، مما يجعلهم يبحثون عن المال بأي وسيلة كانت.

٣- ابتعاد كثير من الدول عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في عامة شؤون الحياة.[٢]

٤- غياب دور علماء الدين في نشر وتعزيز منهج الوسطية (فكرًا وسلوكًا) لدى الشباب، إذ المؤسسات التعليمية والهيئات الدينية شقائق في تحمل المسؤولية وأداء الرسالة سواء كانت توعوية إرشادية، أو أخلاقية تربوية، ورجال الدعوة لهم دور مؤثر في تبصير أفراد المجتمع بالوسطية بوصفها منهجًا إسلاميًا أكدته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

---

(١) فالبيئة التربوية والاجتماعية التي تشجع على النقاش وتبادل الرأي وحرية الفكر توفر فرصة جيدة لاستيعاب حاجات الشباب للتعبير عن ما يجول في أذهانهم سواء في ظل = =المؤسسات التعليمية أو الأسرة، وبالتالي تنمي لديهم الوسطية في التفكير وامتلاك الأداة التي تمكنهم من التمييز بين الحق والباطل والغث والسمين. لذا ففي حالة انعدام تلك الحرية ستدفع الشباب نحو الانطلاق الفكري وقبول الأفكار دون مناقشتها، والتحرر بوصفها مسميات لا يمكن المساس بها، وهي في حقيقة الأمر لا أصل لها في المنظومة العقائدية والثقافية للمجتمع أو تم تفسيرها تفسيرا خاطئا تخدم فئة غالية انحرفت عن جادة الصواب. (أسباب ابتعاد الشباب عن منهج الوسطية من منظور طلبة الجامعة أ د فاضل خليل إبراهيم صـ ١٤، أحد أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي)

(٢) إن عدم اكتراث هذه الدول بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية جعل الشباب يتخذون موقفًا معاديًا منها بوصفها فاسقة أو كافرة (على حد تصورهم)، ويؤمنون بأفكار تدعو إلى الغلو واستخدام كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة في سبيل تطبيق النهج الذي يؤمنون به.

٥- التقصير الأُسري في رعاية وتوجيه الأبناء، فالبعض يمنح الحرية المطلقة دون قيد أو ضبط، والبعض يستخدم أسلوب القسوة والكبت وإلغاء الحريات.

وثمة أمر هام: إن تطرف الأسرة بين أسلوبين في التربية [١] يجعل الأبناء يسيرون في ذات الطريق الذي تم تنشئتهم وتربيتهم عليه، وهنا تحدث الطامة: فتطرف وغلو الأسرة يتبعه تطرف وغلو من الأبناء، وبالتالي بُعد عن المنهج الوسطي المأمول.

٦- الرسائل السلبية التي يوجهها الإعلام الغربي للشباب المسلم، والتي تحمل في طياتها أفكارًا وسلوكيات تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

٧- ضعف التربية على المواطنة والانتماء للوطن والحفاظ على مؤسساته، وهذا الدور تشترك فيه عدة مؤسسات مجتمعية، هي: المؤسسة التعليمية، والدينية، والأسرة لأداء رسالتها تجاه النشء وجيل الشباب.

أيضًا تشارك الدولة في هذا الدور، فيتعين عليها تنظيم شؤونها الداخلية تنظيمًا قائمًا على مبادئ الشورى والديمقراطية واحترام الحقوق، لأن عدم التنظيم يؤدي بدوره إلى الإخلال بالمواطنة، ويضعف انتماء المواطن إلى وطنه ويدفعه ذلك إلى الإضرار بمؤسسات مجتمعه دون رادع وطني وأخلاقي.

٨- تأثير جماعة الأصدقاء في تشكيل قناعات سلبية مشتركة بين الشباب بعيدة عن الوسطية، فصحبة أصدقاء السوء توجب سوء الأعمال والأخلاق، قال - تعالى -: **" وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا "**[٢].

(١) أعنى: أسلوب الحرية المطلقة ونقيضه، الإفراط والتفريط.

(٢) الفرقان/ ٢٧-٢٩.

ب- غياب الوعي بحرمة المسلم وغيره:

كثيرًا ما نجد أن أصحاب الفكر المنحرف يجهلون عِظم حُرمة المسلم، فيسهل عليهم إراقة دماء أهل الإسلام، والاستهانة بأموالهم وأمنهم، وما ذلك إلا لضعف ولائهم وانتمائهم للأمة

المسلمة، وجهلهم بالدين وأحكامه، فالمسلم ينبغي أن يُربى على أنه جزء من كل، وأنه لبنة في كيان مجتمعه، ويعلم أن التعدي على أخيه المسلم سواء نفسه وماله وعرضه إنما هو تعدي على حق نفسه، فالمسلم معصوم الدم والمال(١).

إنَّ مما عُلِمَ من الدين بالضرورة وتواترتْ به الأدلة من الكتاب والسنة حُرمة دم المسلم، قال - تعالى -: " **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**".(٢)، وهذا نبينا ﷺ يؤسس لنا قواعد حقوق الإنسان في الإسلام في خطبته الجامعة في حجة الوداع، يقول ﷺ " **إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ،فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ** "(٣)، **قال ابن حجر- رحمه الله -:** " وإنما شبه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء ولا يرون هتك حرمتها ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدم

---

(١) لا تُرفعُ عنه هذه العصمة إلاّ بإحدى ثلاث ؛ إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يَحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: كَفَرَ بعدَ إسلامِهِ، أو زَنَى بعد إحصانِهِ، أو قَتَلَ نفساً بغير نفس" (أخرجه: أبو داود (٤٥٠٢)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، والترمذي (٢١٥٨)) م إذا وقع في شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أنْ يقتله، وإنَّما ذلك إلى الإمام أو نائبه.

(٢) النساء/٩٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأضاحي - باب من قال الأضحى يوم النحر، جـ٥/ صـ ٢١١١، رقم (٥٢٣٠).

السؤال عنها تذكارًا لحرمتها وتقريرًا لما ثبت في نفوسهم، ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد."[١]

بل مجرد ترويع المسلم وحمل السلاح عليه حرام بكل حال، قال ﷺ " **مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**"[٢]، فقوله: "**فليس منا**": يقتضي ظاهره الخروج عن المسلمين، وقيل، أي: ليس مثلنا، أو ليس على طريقتنا، أو ما يشبه ذلك.[٣]

ومن عظمة الشريعة الإسلامية أن حُرمة الدماء ليست قاصرة على المسلمين فحسب، بل تشمل كذلك غير المسلمين من المعاهدين والذميين والمستأمنين، حرم الإسلام الاعتداء عليهم، وذلك فى أحاديث كثيرة منها، قوله ﷺ:" **مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**".[٤]

إن من الأسس العظيمة التى قام عليها التشريع الإسلامي تحقيق مصالح العباد جميعاً والحفاظ عليهم، من أجل ذلك كانت الضروريات الخمس التى أوصت الشريعة بحفظها ورعايتها وهى: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العرض، حفظ المال، وحفظ النسل، ومن حفظ النفس حفظ الدماء من أن تهدر وتسفك بغير حق، لكننا هذه الأيام نرى سفك الدماء بالليل والنهار من أجل تعصب حزبي، أو تصارع على سلطة أو غيره، وما حادث محاولة التفجير بالمسجد النبوي الشريف منا ببعيد دون مراعاة لحرمة خاتم الأنبياء ﷺ ولا حرمة المكان والزمان.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الحج - باب الخطبة أيام منى جـ ٤/ صـ٦٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من حمل علينا السلاح فليس منا جـ ٦/ صـ ٢٥٩١، رقم (٦٦٥٩)، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للإمام تقي الدين ابن دقيق العيد، جـ١/ صـ٥٠٢ ط مؤسسة الرسالة – بيروت -١٤٢٦- ٢٠٠٥م.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجزية - باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم جـ ٣/ صـ١١٥٥، رقم (٢٩٩٥).

جـ - غياب الوعي بمخاطر الانحراف وعواقبه:

إن غياب الوعي بخطر الانحراف الفكري وعواقبه على الدين والفرد والمجتمع، فضلاً عن وجود منحرفين في المجتمع الإسلامي يعرض أفراد هذا المجتمع للخطر في دينهم وعقولهم وأموالهم وأبدانهم وأعراضهم، وهذه هي الضرورات التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها، إذ من أخطر صوره: الانحراف العقدي المتمثل في: **الوقوع في الشرك والمروق من الدين** الذي يترتب عليه حبوط العمل وعدم قبوله، ومن ثم تحريم الجنة واستحقاق النار، قال - تعالى -: **"إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ"**(١).

- **أيضًا تكفير الآخرين أو رميهم بالفسوق**، فإن تكفير الآخرين دون حجة بينة كفر أصغر يوجب لصاحبه الوعيد بالنار، دون الخلود فيها، قال ﷺ: **" لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلا بِالْفُسُوقِ، وَلا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ، إِلا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ "**(٢)،، فمن أراد النجاة لنفسه عليه التثبت والتأني قبل إصدار حكم على أحدٍ من المسلمين بالكفر أو الشرك، فمسائل التكفير من أخطر المسائل إذا ولج بها من لم يرسخ في العلم قدمه.

ناهيك عن ذلك فالانحراف سبب للمصير المخزي يوم القيامة، قال - تعالى -: **" وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"**(٣)، لذا كان التحذير والترهيب من عاقبة الانحراف ضرورة ملحة، إذ قد تخفى عواقب الأمور على البعض..

---

(١) المائدة/ ٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب - باب ما ينهى من السباب واللعن جـ٥/ صـ٢٢٤٧، رقم (٥٦٩٨)، من حديث أبي ذر.

(٣) يونس/٢٧.

وخلاصة القول: أن الفرد المنحرف يناله من جراء انحرافه الضرر العظيم في دنياه وأخراه، فكم هي المصائب التي تصيب الفرد في حياته بسبب انحرافه، قال - تعالى - " **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْكُمْ** "(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع الانحرافات الفكرية لها العديد والعديد من المخاطر والآثار السلبية إما على المنحرف، أو أسرته، أو أقرانه، أو المجتمع، وهذا ما سأتناوله في المبحث التالي بمشيئة الله.

(١) الشورى/٣٠.

المبحث الثالث: مخاطر الانحراف الفكري وآثاره على الفرد والمجتمع

توطئة: يُعد الانحراف الفكري من أهم مُهددات أمن المجتمعات الإسلامية واستقرارها، حيث يهدف إلى زعزعة الثوابت العقدية، والقيم الأخلاقية والمُقوّمات الاجتماعية، ولا شك أن جميع الانحرافات الفكرية لها آثار سلبية مدمرة، ومخاطر كبيرة على المنحرف ذاته وكذا المجتمع وأفراده، لاسيما وإذا تحول هذا الانحراف الفكري إلى سلوك يقوم به فرد أو حزب أو جماعة، عندئذٍ يزداد البلاء وتعم الفوضى وينتشر الفساد، وفيما يلي سرد لأهم مخاطر الانحراف الفكري وآثاره السلبية على حياة الفرد والمجتمع:

أولاً: مخاطر الانحراف الفكري وآثاره على صاحبه:

١- الكفر والمروق من الدين - أعاذنا الله -:

يدل على ذلك قول رسولنا الكريم ﷺ للرجل الذي قال له: **" يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ "**..... وبعد أن ولى الرجل نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ ﷺ: **" إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ (١) هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ "**(٢).

٢- الهـــلاك:

صرح بذلك النبي الكريم ﷺ فقال: **"هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ "** قَالَهَا ثَلَاثًا(٣)، والمتنطعون

---

(١) ضئضئ: بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة أيضًا، والمراد به أنه يخرج من نسله وعقبه. (النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير)، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، جـ ٣/صـ ٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع ج/٤/ صـ١٥٨١، ١٥٨٢، رقم (٤٠٩٤).

(٣) الحديث سبق تخريجه صـ ١٤.

كما قال الإمام النووي – رحمه الله – هم " المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"(١).

٣- تعدي حدود الله ومخالفة منهج الدين: قد يكون الانحراف من خلال تحريم بعض الطيبات واعتقاد الحلال الطيب حرامًا خبيثًا، لذا نُهينا عن ذلك وعن الاعتداء، قال - تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** "(٢)، كما بين ذلك نبينا ﷺ في حديث الثلاثة رهط الذين جاءوا إلى " **بُيُوتِ أَزْوَاجِه ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"(٣)، ففي الحديث ذم التعمق والتنزه عن المباح، والخروج عن السنة ومنهجها، وهذا لا شك كله انحراف وضلال.

٤- إثم إزهاق النفس، وتبرأ النبي ﷺ منه: من علامات الساعة ودلائل النبوة ما أخبر به النبي المعصوم "كثرة الهرج"(٤)، أي: القتل، ومن أسباب كثرته دعاوى الجاهلية، والغلو والتشدد، والتعصب للرأي والجماعة وغيرها، ولا شك أن قتل النفس المعصومة من أكبر الكبائر، ويعظم الجرم ويشتد الإثم حين تكون هذه النفس نفسًا مؤمنة، قال - تعالى -: " **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي للإمام يحيى بن شرف أبو زكريا النووي جـ١٦/ صـ٢٢٠، ط دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) المائدة/٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح جـ٥/ صـ١٩٤٩، رقم (٤٧٧٦)،

(٤) عن أَبَي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ"، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا كَأَنَّه يُرِيدُ الْقَتْلَ. (اخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم: باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس جـ١/ صـ٤٤، رقم (٨٥)

فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً "[1] وإن مات أو قتل مات ميتة الجاهلية، قال ﷺ **"مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ "**[2]، وقوله ﷺ **" فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ "** تبرأ صريح ممن انتهج هذا السبيل الضال، وما الأحداث التي نشاهدها من وقت لآخر في بلاد المسلمين من قتل وتخريب وتدمير إلا تصديق لقول نبينا ﷺ.

٥- تضييع الحقوق والواجبات: أيضًا قد يكون الانحراف من خلال إلزام النفس بما لم يلزمها به الشرع، فيترتب على ذلك إهمال ما هو واجب، وتضييع حقوق من له حق، قال – تعالى-: **" وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ "**[3]، وعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ بَاذَّةُ الْهَيْئَةِ، فَسَأَلَتْهَا: مَا شَأْنُكِ؟ فَقَالَتْ: زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ ﷺعُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ **" إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا فَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ، فَوَ اللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ ".**[4]

٦- الخروج عن الجادة:

من الآثار المترتبة على الانحراف الفكري أنه يخرج الإنسان ويبعده عن الإسلام الصحيح، وعن هدي القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ هما المنجى من هذا الانحراف.

---

(١) النساء/٩٣.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن جـ٣/ صـ١٤٧٧، (٣٤٣٦).

(٣) الحديد/٢٧.

(٤) مسند أحمد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد جـ٦/ صـ ٢٢٦، باقي مسند الأنصار: حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٥٣٦٥).

وإنما انحرفت هذه الفئة الضالة عن الجادة وبين أيديهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأنهم اعتمدوا على فهمهم هم للقرآن والسنة، ولم يفهموا القرآن والسنة بفهم الصحابة والسلف الصالح، وعلماء الأمة الأثبات الثقات الذين لا يستوون مع حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، الذين يقرءون القرآن ويفسرونه على ظاهره وبأهوائهم، مما أودى بهم إلى الانحراف والضلال، قال " **الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ** "[(١)]، مما سبق تبين أن آثر الانحراف وخطره يصيب صاحبه قبل أن يتعدى غيره.

ثانيًا: مخاطر الانحراف الفكري وآثاره على المجتمع وأفراده:

١- **إثارة الفتنة:** سواء بالأقوال أو الأفعال التي تخالف الشريعة الإسلامية، وخطورتها على الأمن الفكري واضحة جلية، فهي تؤدي إلى انعدام الأمن، وهدم عُرى الوحدة والجماعة، وتقسّم المجتمع، فإيقاظ الفتن وإشعال فتيلها يثير الفرقة والتشرذم بين المسلمين، قال - تعالى -"**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** "[(٢)]، وقد حذر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ منها، فقال: " **سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُن فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**".[(٣)]، فالحديث يحذر من الفتنة ويحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها.

٢- **التشكيك في ثوابت الأمة وزعزعة قناعات أفرادها العقدية والفكرية،** وذلك من خلال ما تنشره المذاهب المنحرفة، وما تدعو له التيارات الهدامة كالعلمانية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الإِيمَانِ - بَاب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ جـ١/ صـ٧٥، رقم (٥٥)

(٢) الأنفال/ ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن - باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم جـ ٦/ صـ ٢٥٩٤، حديث رقم (٦٦٧٠).

والشيوعية، والحداثة، والتغريب، وغيرها من أفكار تُخالف شريعة الإسلام، وتنافي منهجه القائم على الوسطية والاعتدال.

٣- انتشار البدع[١] في الدين:

ظهور البدع وانتشارها خطر عظيم على الأمة، إذ هي سبب في تشتت وحدتها، ونشر العداوة والبغضاء بين أبنائها، لذا نهى الإسلام عن الابتداع في الدين، ودعا إلى التمسك بمصدري التشريع، فقال - تعالى -: " **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** "[٢]، كما دعا إلى الالتزام بالسنة، قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** "[٣]، فالخير كل الخير في الاتباع وترك والابتداع، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

٤- الإفساد في الأرض: لقد أضر انحراف الفكر بقوم، حتى أدى بهم انحرافهم إلى حِلِّ ما حرم الله، وتأويل النصوص الشرعية تأويلات فاسدة، استحلوا بها دماء الأبرياء وأعراضهم وأموالهم، وسعوا في الأرض فسادًا، الأمر الذي ترتب عليه انتشار الفوضى والفساد إلى حد ما، " فالعمليات الإرهابية المرتكبة من قبل أصحاب الفكر المنحرف هي من قبل الإفساد، سواء بقتل الأفراد أو تدمير ممتلكاتهم، وإتلاف أموالهم، أو إخافتهم وترويعهم "[٤]

---

(١) البدعة هى: ما استحدث وابتدع في الدين بعد الإكمال. (ينظر المعجم الوسيط صـ٤٣، لسان العرب جـ٢/ صـ٣٧)

(٢) الحشر/٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم - عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين جـ١/ صـ٢٢٨، رقم (٣٣٤)، سنن الترمذي: كتاب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع جـ٥/ صـ ٤٤، رقم (٢٦٧٦)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) موقف الإسلام من الإرهاب لمحمد بن عبدالله العميري صـ٣٣٠، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٥هـ.

بخلاف الفكر السليم السوي فإنه يُشكّل ركيزة مهمة في الحفاظ على الأمن، فبسلامة الفكر يستقيم السلوك، فتُحفظ الدماء، والأموال، وتُصان الأعراض، فيتحقق الأمن بكافة جوانبه.

٥- استدراج النشء وتضليله: من أكبر مخاطر الانحراف الفكري استهداف أتباعه لشريحة حيوية ومهمة في المجتمع، ألا وهي فئة الشباب واستغلال طاقتهم ونشاطهم في تحقيق أهدافهم الشيطانية ومآربهم الخبيثة، وذلك عن طريق طرق مدروسة ومخططة.

والأحداث المرتكبة في عصرنا الحديث خير شاهد، فإن كثيراً من أعمال العنف والإرهاب والتدمير والتخريب يقوم بها شباب حديثي السن، لم تنضج عقولهم ولم تكتمل ملكاتهم الفكرية، غُرر بهم وبأرواحهم تحت شعارات دينية واهية، والدين منها براء.

" ويبدأ التضليل والتغرير بالشباب واستغلالهم من قبل بعض الجماعات المنحرفة لتحويلهم إلى أدوات تستخدم ضد المجتمع عبر المراحل التالية:

أ- **مرحلة اصطياد الضحية** عن طريق شخص مدرب لهذا العمل.

ب- **مرحلة الحصار النفسي والاجتماعي على الضحية** من خلال ملاحقته في الزمان

والمكان بالأفراد الذين يقومون بدور العزل حيث يمنعونه من التعامل مع الآخرين غيرهم.

ج- **مرحلة التأثير** من خلال نقاط الضعف التي تتنوع مع الشخص (فقر شديد، تعليم منخفض، اضطراب نفسي).

د – **مرحلة غسيل المخ وزراعة الأفكار التخريبية داخلهم** وذلك من خلال عوامل ضغوط الجماعة على الفرد حيث يتم إقناعه قسرياً بمجموعة من الأفكار المدمرة التي يتوجه بها الأفراد داخل المجتمع.

هـ- مرحلة التوجيه للتورط في العمليات الانحرافية والإرهابية، وفي تلك المرحلة يكون الفرد قد تشبع فكرياً واجتماعياً وتوحد كلياً مع تلك الجماعة التي أصبح يعتمد عليها اعتماداً كلياً في حياته النفسية والاجتماعية، بحيث يصعب عليه أن يرفض أي طلب يطلب منه، وهؤلاء بالفعل يمثلون الأدوات الحقيقية للإرهاب ويعملون دائماً تحت إمرة قيادتهم ". (١)

٦- إشاعة الشبهات: من أبرز الوسائل التي يعتمدها أصحاب الفكر المنحرف إثارة الشّبهات بين أفراد المجتمع المسلم، فنجدهم يركزون على اختيار النصوص والدلائل التي تلائم توجهاتهم وطريقة تفكيرهم، وكذلك الآيات المتشابهات، فيثيرون بذلك الشكوك حول الدين، ويزعزعون ثوابته، مما يترتب عليه إبعاد المسلمين عن دينهم وتشرذمهم وإضعاف شوكتهم، فإن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة، ولهذا قال - تعالى -: " **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ** "(٢). وقال نبينا ﷺ " **إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**"(٣)

٧- فقد الشعور بالوطنية: أغلبية الشباب من حملة الفكر المنحرف - إن لم يكن جميعهم - فاقدين لمعنى الوطنية، بل إن مفهوم الوطنية لديهم من الشبهات التي يجب درؤها والتنزه منها، لزعمهم أن الهم الوطني يتعارض مع الهم الإسلامي، وأن الولاء للجماعة لا الوطن. لذلك تقوم الحركات الفكرية المتطرفة بتغرير الشباب ودفعهم للتفكير بعيدًا عن مصالح أوطانهم، فنجدهم يخربون ويدمرون ممتلكات ومقدرات وطنهم وتكبيده الخسائر الفادحة، في حين أن مصلحة الوطن مقدمة على أي اعتبار آخر، وأن هذا التقديم من صميم الدين. فولاء المسلم لدينه

---

(١) http://www.assakina.com/studies/٥٣٠٤.html#ixzz٤GZ٩S٠KrS

(٢) آل عمران/ ٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب العلم- باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن جـ٤/ صـ٢٠٥٣، رقم (٢٦٦٥).

وانتماءه لأمته لا يتعارض مع الوطنية بل إن العلاقة بينهما علاقة ارتباط، فالدين لا يقوم إلا على أرض ووطن.

٨- الفهم الخاطئ لبعض المفاهيم: يعد الفهم الخاطئ لمقاصد الشريعة الإسلامية واحدًا من مخاطر الانحراف الفكري، وتتضح آثار هذا الفهم الخاطئ في التباس بعض المفاهيم كمفهوم الجهاد، الاستشهاد، التكفير، والبدعة وغيرها، فعلى سبيل المثال: نلاحظ هذه الآونة ما يقدم عليه بعض أفراد الجماعات المتطرفة دينيًا من عمليات تفجير لأنفسهم بأحزمة ناسفة أو قنابل موقوتة واعتقادهم لشرعيتها، ويعدون ذلك من الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

والحق أن ما يقومون به مما يطلق عليه " العمليات الاستشهادية " هو انتحار صريح وإلقاء بالنفس إلى التهلكة التي نهينا عنه في قوله – تعالى – " **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** "[(١)] فالجهاد لا يكون إلا تحت راية إسلامية، وعلى أساس أحكام إسلامية من قبل ولي الأمر.

٩- التجرؤ على الدين والمجتمع[(٢)]:

" من مخاطر الانحراف الفكري على الأمن العقائدي بشكل خاص، التجرؤ على أحكام الدين بإصدار فتاوى التكفير والتبديع والتحليل والتحريم، والخوض جهلاً في مسائل العهد والأمان والذمة وأحكام الجهاد والحرب والسلم دون معرفة كافية لمراتب الأحكام أو مراتب الناس، فيظهر تعسيف النصوص والاجتهادات المخالفة لما أجمعت عليه الأمة " [(٣)].

لهذا وغيره نهانا الله - عز وجل - عن القول بغير علم فقال: " **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** " [(٤)]، أيضًا من

(١) البقرة/١٩٥.
(٢) وبعبارة أوضح أقول: التجرؤ على الدين بالإفتاء بغير علم، وعلى المجتمع بتكفيره.
(٣) http://www.assakina.com/studies/٥٣٠٤.html#ixzz٤GZ٩S٠KrS
(٤) الإسراء/٣٦.

أخطر آثار الانحراف الفكري السقوط في هاوية تكفير مخالفيهم من المسلمين بالمعصية، والحكم على بلاد المسلمين بأنها دار كفر، واستباحة دمائهم وأموالهم بناء على ذلك، ولا شك أن هذا الأمر في غاية الخطورة، ولخطورته حذرت السنة النبوية منه، فقال الرسول ﷺ: " **مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ** (١) "(٢).

١٠- تنفير الناس عن الإسلام وتشويه صورته:

ما يقوم به اصحاب الفكر المنحرف من المنتمين للإسلام من أعمال إرهابية يترتب عليها تشويه سمعة الإسلام، والتنفير من الدخول فيه واعتناقه، بسبب ما ينتج عنها من قتل للأبرياء والآمنين والمعاهدين والمستأمنين، وقد استغل أعداء الإسلام هذه الأعمال لكي يشوهوا صورته ويصنفوه بالدموية والإرهاب، حتى صار المسلم في الغرب رمزًا للإرهاب، والحق أن الإسلام بريء من هذه الاعمال الإجرامية فهو دين سمته الوسطية والاعتدال، يدعو لنبذ التطرف بكل وسائله وأنواعه، وينهى عن الميل والتجاوز والغلو في الدين.

مما سبق يتبين: أن الانحراف الفكري يشكل أخطارًا جسيمة تبدأ بصاحبه ثم تلحق بالمحيطين به، ثم تتسع الدائرة فتصيب المجتمع، وكان من أبرز هذه المخاطر:

الإضرار بعقيدة الأمة، وتشويه قيم الإسلام النبيلة، والإسهام في التشكيك بثوابت الأمة وهز قناعات أفرادها، من خلال ما تنشره التيارات الهدامة، كذلك يؤدي إلى التشرذم والفرقة، وإضعاف الصف، ويُحقق الانقسام، ويُهدد الوحدة الوطنية ويبث روح الكراهية بين أفراد المجتمع، لذا كان لزامًا علينا أن نتلمس وسائل الوقاية والعلاج الناجحة، التي سيكون لها بالغ الأثر في القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، وهذا ما تناوله المبحث التالي.

---

(١) حار عليه، أي: رجع عليه الكفر. (شرح النووي على صحيح مسلم جـ١/ صـ٢٣٨).

(٢) مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان - باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم جـ١/ صـ٨٠، رقم (٦١٩٣).

المبحث الرابع: الوسائل الوقائية والعلاجية للانحراف الفكري

توطئة: الانحراف الفكري واقع مرير وداء عُضال أصيب به بعض أفراد المجتمع، وبات خطرًا يُهدد الفرد والأسرة والمجتمع، وانتشاره في الأمة يُنذر بالضياع والانحطاط، وزعزعة الأمن وفقد الاستقرار، لذلك سعت المجتمعات الإسلامية لمواجهته والتصدي له خاصة من خلال إصلاح فكر أفراد المجتمع وتوعيته وصيانته، ولا ريب أن الحفاظ على فكر الأفراد مسؤولية مشتركة، تقع على الفرد نفسه، وأسرته، ومؤسسات المجتمع المتنوعة، ومن خلال التتبع والاستقراء لأدلة الكتاب الحكيم والسنة المطهرة المتعلقة بهذه الظاهرة توصلت الباحثة للعديد من الوسائل الوقائية والمعالجات الشرعية التي متى رُوعيت من قبل المربين والمعلمين والدعاة والإعلاميين وأصحاب القرار وغيرهم، كانت كفيلة - إن شاء الله – بالتصدي لهذا النوع من الانحراف ومقاومته بل وعلاجه. لكن ثمة أمر هام ينبغي مراعاته قبل بيان هذه الوسائل، ألا وهو: **"أهمية الاستعانة بالله – عز وجل – توكلاً ودعاءً "** فالإنسان في أمس الحاجة لمعونته – سبحانه –، قال ابن رجب – رحمه الله –: " العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله - عز وجل -، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول،..، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات" [(١)]، لهذا " أطلقت الاستعانة في قوله – تعالى – **"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"** لتتناول كل مستعان فيه"[(٢)]، فلا يستطيع أحد الاستقامة على المنهج الصحيح والصراط المستقيم، وتجنب مسلكَي الإفراط والتفريط إلا بإعانة الله له، وستبقى الاستعانة بالله والتوكل عليه – سبحانه - الوسيلة الأهم لنجاة العبد وتوفيقه، وقد كان من دعائه

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي جـ١/ صـ٤٨٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي جـ١/ صـ٣٢، دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ط أولى.

ﷺ "**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** "[1]، وفي هذا المبحث سأعرج على أهم الأساليب التي يمكن اتباعها مع أصحاب الفكر المنحرف، لتصحيح انحرافهم وتقويمه والوقاية من أخطاره، هذا وقد اشتمل المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: وسائل الوقاية من الانحراف الفكري:

لكي يُحفظ المجتمع ويُصان فكر أبناءه لا بد من التصدي للانحرافات المختلفة ومقاومتها، فالوقاية خير من العلاج كما يقال، وفيما يلي بيان لأهم وسائل القرآن الكريم الوقائية التي متى رُوعيت كانت حصنًا منيعًا لفكر الفرد ومجتمعه:

١- **الاعتصام والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:**

من أعظم وسائل التصدي للانحراف الفكري الالتزام بمرجعية واحدة ثابتة واضحة ينتهجها الفرد والجماعة والحاكم والمحكوم، بينها الله في كتابه والرسول في سنته في كثير من الآيات والأحاديث، منها قوله - تعالى -: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** "[2]، قال أبو حيان - رحمه الله -: " نُهوا من الإقدام على أمر دون الاهتداء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى: لا تقطعوا أمرًا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا عاملين بالوحي المنزل، أو مقتدين برسول الله ﷺ "[3]، وقوله " **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ** "[4].

(١) المستدرك على الصحيحين: كِتَابُ الدُّعَاءِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيح والذكر جـ٢/ صـ١٧٣، رقم (١٨٨١)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) الحجرات/١.

(٣) البحر المحيط لمؤلفه أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي جـ٨/ صـ١٠٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٤) آل عمران /١٠٣.

وقد فسر أهل التفسير قوله " **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ** " بـ التمسك بالقرآن الكريم، قال القاسمي في تفسيره: " الحبل إما بمعنى العهد....، وإما بمعنى القرآن، كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: "**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - هُوَ حَبْلُ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ** "(١)، إذًا فالآية تأمر باتباع ما جاء به القرآن في كل شيء، وتؤكد على أن الهداية في اتباعه، والضلال الضلال في البعد عنه.

أيضًا أمر النبي ﷺ بالاعتصام بالكتاب والسنة، فقال في حجة الوداع: " **أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ**

تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ.." (٢)، وقوله ﷺ: "**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"(٣)، قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله –: " فلولا أن سنته وسنة الخلفاء الراشدين تسع المؤمن وتكفيه عند الاختلاف الكثير لم يجز الأمر بذلك"(٤)، والآيات والأحاديث الدالة على اتباع الكتاب والسنة كثيرة، كلها تدل على أنهما طوق النجاة من كل فتنة، والعصمة من كل زيغ، لهذا يتعين ربط أفراد المجتمع بهذين المصدرين، إذ هما صمام الأمان والسبيل الأمثل لحفظ المجتمع من كل غي وانحراف.

---

(١) محاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي جـ٤/ صـ٩١٥، ٩١٦، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ط اولى، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه جـ٤/ صـ١٨٧٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم - خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع جـ١/ صـ٢٨٤، رقم (٣٢٤) قال الحاكم: " وَقَدِ احْتَجَّ الْبُخَارِيُّ بِأَحَادِيثِ عِكْرِمَةَ وَاحْتَجَّ مُسْلِمٌ بِأَبِي أُوَيْسٍ، وَسَائِرُ رُوَاتِهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمْ".

(٣) الحديث سبق تخريجه صـ٢٠.

(٤) الاستقامة جـ١/ صـ٤.

ولله در الإمام الشنقيطي حين قال: " اعلم يا أخي أن الإعراض عن كتاب الله وسنة رسولهﷺ، واعتقاد الاستغناء عنهما بالمذاهب المدونة الذي عم جل من في المعمورة من المسلمين من أعظم المآسي والمصائب، والدواهي التي دهت المسلمين من مدة قرون عديدة،...ولو كان المسلمون يتعلمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويعملون بما فيهما لكان ذلك حصنًا منيعاً لهم من تأثير الغزو الفكري في عقائدهم ودينهم، ولكن لما تركوا الوحي ونبذوه وراء ظهورهم واستبدلوا به أقوال الرجال لم تقم لهم أقوال الرجال ومذاهب الأئمة رحمهم الله مقام كلام الله والاعتصام بالقرآن، وكلام النبي ﷺ والتحصن بسنته، ولذلك وجد الغزو الفكري طريقًا إلى قلوب الناشئة من المسلمين، ولو كان سلاحهم المضاد القرآن والسنة لم يجد إليهم سبيلاً، وبالجملة فمما لا شك فيه أن هذا الغزو الفكري الذي قضى على كيان المسلمين، ووحدتهم وفصلهم عن دينهم، لو صادفهم وهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله لرجع مدحورًا في غاية الفشل لوضوح أدلة الكتاب والسنة، وكون الغزو الفكري المذكور لم يستند إلا على الباطل والتمويه كما هو معلوم". (١)

٢- لزوم منهج الإسلام الصحيح:

لزوم المنهج الصحيح من أبرز وسائل وقاية الفكر والسلوك من الانحراف، فالأصل في منهج الإسلام القائم على هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة **الاستقامة والوسطية**، قال– تعالى– مخاطبًا نبيه ﷺ وأمته: "**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**"(٢)، والاستقامة هى " العمل بكمال الشريعة، بحيث لا ينحرف عنها قيد شبر"، وقيل هى: "الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف" (٣)، وقال صاحب الظلال في معنى الآية: "وإنه مما يستحق الانتباه هنا أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهيًا عن القصور

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن جـ٧/ صـ ٣٧٨ باختصار يسير.
(٢) هود/١١٢.
(٣) التحرير والتنوير جـ١٣/ صـ١٧٥، في ظلال القرآن جـ ٤/ صـ١٩٣١.

والتقصير، إنما كان نهيًا عن الطغيان والمجاوزة.. والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير"[١].

من هذا يعلم أن الناس في دين الله على ثلاثة أقسام: مستقيم عليه، وغالٍ فيه، وجافٍ عنه، فالغالي متجاوز، والجافي مفرط، وكلاهما منحرف، وعن هذا قال ابن القيم "وكلا طرفي قصْد الأمور ذميم، وخير الأمور أوساطها، والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراط وتفريط، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين. وكذلك السنَّة وسط بين بدعتين"[٢]، وعلى هذا المنهج أكد النبي الكريم في الحديث الذي رواه سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُم اسْتَقِمْ**"[٣]. **أيضًا لابد من إظهار وسطية الاسلام واعتداله وتوازنه:** وترسيخ الانتماء لدى الشباب لهذا الدين الوسط وإشعارهم بالاعتزاز بهذه الوسطية " **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**"[٤]، وهذا يعني الثبات على المنهج الحق وعدم التحول عنه يمنة أو يسرة، وعدم نصرة طرف الغلو والافراط أو طرف الجفاء والتفريط في صراعهما المستمر، فالوسطية منهج ثابت وسمة بارزة في كل باب من أبواب الإسلام: في الاعتقاد، والتشريع، والتكليف، والعبادة، والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والمعاملة، وكسب المال وإنفاقه، ومطالب النفس وشهواتها وغيرها، واتخاذ الوسطية والاعتدال منهجاً للحياة، وتطبيقه في جميع المجالات على مستوى الأفراد والأسر والمجتمع من أنجع وسائل التصدي للانحراف.

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق سمير مصطفى رباب صـ١٤٥، ط المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب جامع أوصاف الإسلام جـ١/ صـ٦٥، رقم (٣٨).

(٤) البقرة/ ١٤٣.

٣- طلب العلم الشرعي الصحيح من أهله: من أعظم الأسباب المعينة على تحصين الفكر المنحرف: الحرص على أخذ العلم الشرعي من أهله المتحققين به المشهود لهم برسوخ العلم واستقامة المنهج واعتدال الفهم، والسير على طريقة السلف من علماء أهل السنة والجماعة. فهؤلاء من يؤخذ عنهم العلم، ويتوجب الصدور عن آرائهم خاصة في القضايا والأمور العامة التي تمس واقع الأمة، امتثالاً لقول الله – جل وعلا –: " **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** "[(١)]. **قال صاحب المنار:** " فالواجب على الجميع تفويض أولي الأمر في المصالح العامة للأمة دون غيرهم، لأن جميعها توكل إليهم، ومن أمكنه أن يعلم بهذا التفويض شيئاً يستنبطه منهم فليقف عنده، ولا يتعده، فإن مثل هذا من حقهم، والناس فيه تبع لهم، ولذلك وجبت فيه طاعتهم،...وليس من الحكمة ولا من العدل ولا المصلحة أن يسمح لفرد بالتصرف في شئون الأمة ومصالحها، وأن يفتات عليها في أمورها العامة، وإنما الحكمة والعدل في أن تكون الأمة في مجموعها حرة مستقلة في شئونها كالأفراد في خاصة أنفسهم، فلا يتصرف في هذه الشئون العامة إلا من يثق بهم من أهل الحل والعقد، المعبر عنهم في كتاب الله بأولي الأمر، لأن تصرفهم قد وثقت به الأمة هو عين تصرفها، وذلك منتهى ما يمكن أن تكون به سلطتها من نفسها "[(٢)]، أيضًا من الآيات التي تأمر بسؤال أهل العلم، قوله - تعالى -"**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**"[(٣)]،

قال الإمام القرطبي – رحمه الله –: " لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها،.... وأجمعوا على أن من لا علم له لا بد له من تقليد عالمه، وكذلك لم

(١) النساء/ ٨٣.

(٢) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، جـ٥/ صـ٢٤٣، ٢٤٤ بتصرف واختصار، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

(٣) النحل/٤٣.

يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا؛ لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم". (١) لهذا كان نقص العلم الشرعي عند أصحاب الفكر المنحرف من أول المسببات في تفشي الأفكار المنحرفة بينهم، كما نجدهم يستدلون لانحرافهم وبدعتهم بأدلة من الكتاب والسنة دون فهم صحيح لها، متوهمون أنهم على خير، في حين إن خيرية الدين لا تكون إلا للفقيه العالم كما قال ﷺ: "**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**" (٢)، (٣). وللجهل خطر عظيم بينه النبي الكريم ﷺ بقوله: "**إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**"(٤)، فالجهل له أثر كبير في الضلال والإضلال وانتشار البدع والشبهات وغيرها من الفتن، فعُلم من هذا أن طلب العلم الشرعي والتأصل فيه على يد العلماء الربانيين الراسخين سبب عظيم لترك الانحراف، ناهيك عن أثره الكبير في الوقاية والتحصين والمعالجة من الانحراف الفكري.

٤- الابتعاد عن مواطن فتن الشبهات: أيضًا من الأمور المهمة في جانب التحصين والوقاية في هذا المجال: البعد عن مصادر فتن الشبهات التي تثير الشبه المضلة عن الصراط المستقيم، وما أكثر هذه المصادر في عصرنا الحديث، فمواقع التواصل الاجتماعي لا حصر لها، وكذلك المواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية وغيرها كثير من وسائل الحصول على المعلومات ذات التأثير القوي والانتشار السريع، لهذا ينصح أهل العلم والدين بالبعد عن تتبع الشبهات والاشتغال بها فهذا يحفظ المرء من الوقوع في فتنها؛ ومما يدل على وجوب الابتعاد عن مواطن فتن الشبهات قوله - تعالى -: "**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ**

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١١/ صـ ١٨٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم - باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين جـ١/ صـ٣٩، رقم (٧١).

(٣) ينظر صـ ٢٠، وفيها أن أحد أسباب الانحراف: الجهل بحقيقة الدين، وعدم فهمه بشكل سليم.

(٤) الحديث سبق تخريجه صـ٢٤.

يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"(١).

جاء في معنى الآية " أن المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلاً وأمته تبعًا، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور"(٢).

فالآية الكريمة تدل على وجوب اجتناب المجالس التي يقع فيها التجرؤ على آيات الله وإشاعة الشركيات والبدع والضلالات، ويدخل في حكم هذه المجالس الوسائل الحديثة المتعددة للتواصل الاجتماعي ومصادر الوصول إلى المعلومات.

أيضًا ومما يدل على وجوب الابتعاد عن الشبهات قول النبي ﷺ " **مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ** "(٣)، ففي الحديث دلالة قوية على وجوب البعد عن مواطن الفتن، وأن لا يُحسن المسلم الظن بنفسه ويذهب إليها، فربما يضعف أمامها، أو تأتيه الشبه فتدخل إلى قلبه فيبدأ في الانحراف عن الطريق المستقيم، ولهذا السبب كان أئمة السلف - مع سعة علمهم - يعرضون عن سماع الشبهات، معللين ذلك بإن القلوب ضعيفة، فعن عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ طَاوُسٍ، وَعِنْدَهُ ابْنٌ لَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: صَالِحٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ

(١) الأنعام/٦٨.
(٢) تفسير السعدي جـ٢/ صـ ٤٨٢.
(٣) سنن أبي داود: كتاب الملاحم - باب خروج الدجال جـ٤/ صـ١١٦، رقم (٤٣١٩).

فَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ فَتَنَبَّهَ، فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: " أَدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ، فَلَا تَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ شَيْئًا فَإِنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ "(١).

وقد نصح شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذه ابن القيم نصيحة عند ورود الشبهات التي لا تعلم مصدرها، قال ابن القيم: " قال لي شيخ الإسلام – رضي الله عنه – وقد جعلت أورد عليه إيراد بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أَشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات."(٢)، فعلى المسلم أن يحصن نفسه وأهله بالبعد عن كل ما يدخل عليه الفتنة في دينه مستعينًا بالله - جل وعلا – في ذلك، فإن من يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

٥- الاهتمام بتربية النشء على الكتاب والسنة:

تُعد التربية الإسلامية الصحيحة سداً منيعاً يستخدم في وقاية النشء وحمايته من مختلف الانحرافات، وأداة لإعداد جيل صالح، مُتمسّك بعقيدته، قادر على الوقوف في وجه مختلف التحديات المعاصرة، والأفكار الوافدة، والانحرافات المختلفة.

ويتفق العلماء على أن المسئولية الأولى تقع على عاتق الأسرة كونها البيئة الأولى في رعاية الأبناء، فرغم أنها تعتبر أصغر مؤسسات المجتمع إلا أنها ذات أهمية قصوى في عملية التنشئة، وقد بلغ من تأثير الأسرة في الفرد أن رسول الله

(١) المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني كتاب الجامع - باب القدر جـ١١ / صـ ١٢٥، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) مفتاح دار السعادة للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية جـ١/ صـ٤٤٣، دار ابن عفان، السعودية، ط أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، يقول ابن القيم عن هذه النصيحة: (ما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك).

ﷺ قال: " **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ..**" [(١)]، ففي الحديث دلالة واضحة على أن الأسرة مسؤولة عن سلوك أفرادها سواء بالإيجاب أو السلب، فالدور الإيجابي الذي تلعبه الأسرة أثناء تربية الأبناء ووقايتهم من الانحراف لا يمكن تعويضه عن طريق أي مؤسسة اجتماعية أخرى، ويمكن اختصار هذا الدور في عدة إجراءات، منها:

أ- **التنشئة على العقيدة:** بحيث يكون النشء على إدراك كاف للمعتقد الصحيح؛ لأن الانحراف ربما تمثل في المعتقد الفاسد، الذي تنبني عليه الأعمال والتصرفات المنحرفة. لذا وجبت التنشئة على العقيدة السليمة، ومن أهم ما يربى عليه الصغير في جانب العقيدة عبادة الله وحده، والتحذير من الشرك به الذي هو رأس الانحراف، لهذا حذر لقمان ابنه منه قائلاً: "**يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** "[(٢)]، " فهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، ثم قال محذرًا له: "**إِنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**"[(٣)].

ب- التنشئة على العبادة: وسأضرب مثلاً على عبادة الصلاة لأنها من أهم العبادات التي يحفظ الله بها خلقه، قال-تعالى -: "**وَأَقِمِ الصّلاَةَ إِنّ الصّلاَةَ تَنْهَىَ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ**[(٤)]"، "والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس، والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر، ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين جـ٤/ صـ ٢٠٤٧، رقم (٢٦٥٨).
(٢) لقمان/١٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٦ /صـ٣٣٦.
(٤) العنكبوت/٤٥.

في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر"[١]

وهكذا بقية العبادات سبب في حفظ الله للعبد من أمور عديدة منها الانحراف، ولذا كانت وصية النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**"[٢] فمن حفظ الله حفظه الله من كل سوء وأذى.

ت- التنشئة على الأخلاق: فتربية الأبناء على الأخلاق منذ الصغر جُنة لهم من الوقوع في الانحراف، وقد وجههنا ديننا الحنيف إلى أهمية تربية الصغار على مكارم الأخلاق، ففي قوله - تعالى - مثلاً: "**وَإِذَا بَلَغَ الأطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**"[٣] إشارة إلى ضرورة تربية الأبناء على أدب الاستئذان، "فولي الصغير مخاطب بتعليم من تحت ولايتهم من الأولاد العلم والآداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليه ولا يمكن ذلك إلا بالتعليم والتأديب" [٤]، أيضًا نلحظ حرص لقمان الحكيم على تعليم ابنه جملة من الآداب القويمة فقال واعظًا له: "**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للإمام السعدي جـ٦ / صـ١٣١٦.
(٢) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ جـ٤/ صـ٥٧٦، رقم (٢٥١٦)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وتمام الحديث: " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ".
(٣) النور/٥٩
(٤) تفسير السعدي جـ٥/ صـ ١١٧٩ بتصرف يسير.

إِنّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"[1]، والنبي الكريم يأمر بحسن تربيتهم فيقول ﷺ: "**أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ** "[2].

ث- توجيه الأبناء لصحبة الأخيار:

من الأمور الهامة أيضًا إرشاد الأسرة أبناءها إلى اختيار رفقائهم الذين من أترابهم، إذ أن الصديق يتأثر بصديقه صلاحًا وفسادًا، بل ربما كان سبباً فعالاً في مصيره وسعادته الدنيوية والأخروية، فكل صداقة مقطوعة يوم القيامة إلا صداقة أهل التقوى والدين، قال- تعالى-: "**الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**"[3]، قال الإمام ابن كثير في معنى الآية: " كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله -عز وجل - فإنه دائم بدوامه "[4]، كما ضرب نبينا ﷺ مثلاً لتأثير الرفقة والمجالسة في حياة الإنسان وفكره ومنهجه وسلوكه بقوله ﷺ " **إِنّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ**.." [5]، ففي الحديث دلالة على أن مجالسة أهل الانحراف والاستماع إليهم، أو قراءة منشوراتهم وما إلى ذلك، تمثل خطرًا على معتقد النشء وفكرهم.

ج - المراقبة الواعية للأبناء: يعد التهاون والتساهل في متابعة أمور الابناء الدينية أو الدنيوية معصيةٌ عظمى وخيانةٌ كبرى، قال - تعالى -: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**"[6]، والأبناء من أكبر الأمانات، إذ قد يترتب على عدم متابعتهم جعلهم عُرضة للانجراف مع التيارات

(١) لقمان ١٨-١٩.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الأدب - باب بر الوالد والإحسان إلى البنات جـ٢/ صـ١٢١١، رقم (٣٦٧١).

(٣) الزخرف/٦٧.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٧/ صـ٢٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء جـ٤ / صـ ٢٠٢٦، (٢٦٢٨).

(٦) الأنفال/ ٢٧

المنحرفة عبر وسائل الغزو الفكري، خاصة وسائل الإعلام التي أصبحت من أهم العوامل المؤثرة في تفكيرهم وسلوكهم.

د - **مساعدة الأبناء على فهم بعض المصطلحات الشرعية المتداولة**، وضبطها بضوابط الإسلام، لئلا يتم خداعهم وتضليلهم من قبل دعاة الفكر المنحرف باستخدام هذه المصطلحات، التي توظف بعيداً عن أهدافها ومضامينها وضوابطها الشرعية.

وثمة أمر هام، لكي تقوم الأسرة بدورها تجاه أبنائها وتطبق الإجراءات السابقة لابد من إيجاد مناخ مناسب من الحوار بين الأبناء والإباء حتى تتوافر البيئة الصالحة لتصويب الخطأ والمناصحة، قال - تعالى -: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**"(١)، روي أن عمر - رضي الله عنه - قال لما نزلت هذه الآية: يا رسول الله، نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا ؟ فقال: " تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله "(٢)، **وقال الكيا**: وهذا يدل على أن علينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب.(٣)

٦- تفعيل الدور التوعوي لمؤسسات المجتمع للتصدي للفكر المنحرف:

" لئن كانت الأسرة هي المُعالِج الأول للانحراف الفكري والواقي منه، فإن هناك أدوراً مهمة يقوم بها المربي، ورجل الإعلام، والمرشد الديني، فهؤلاء يُمثلون ثلاث مؤسسات تُعد من أهم مؤسسات المجتمع التي يتفاعل معها أفراد المجتمع، ويتأثرون بما يجري فيها من نشاط ومُمارسات في سلوكهم وحياتهم "(٤)، فالمؤسسات المجتمعية المختلفة على عاتقها مسئولية كبيرة تجاه تربية الشباب

---

(١) التحريم/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ١٨/ صـ١٨١.

(٣) أحكام القرآن، للإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي جـ٤/ صـ٤٢٦، ط اولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

(٤) دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف، عمر التومي الشيباني وآخرون صـ٣١، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤١٤هـ.

وحماية أفكارهم من الانحرافات المختلفة، وذلك لما تقوم به من التوجيه والإرشاد والتوعية الفكرية، وما تؤديه من دور هام في شغل أوقات الفراغ بالمفيد، وما تُقدّمه من برامج و مناشط تربوية وثقافية واجتماعية تُساهم في مقاومة الانحراف الفكري والتصدي له، وفيما يلي بيان الدور الإيجابي لبعض هذه المؤسسات، وسأتحدث على المسجد كنموذج: معلوم أن محاضن التربية هي بيوت الله - عز وجل -، فالمساجد لها إسهامات مؤثرة في بناء المجتمع، كما تُعد وسيلة وقائية قوية لحماية الناشئة من الوقوع في براثن الفكر المنحرف والمتطرف، بل هى أولُ مدرسة في الإسلام تَبني الأجيالَ، وتصنع الأبطال، لهذا يجب أن يُشجَّع أولادُ المسلمين منذ الصغر على ارتياد المساجد بانتظام؛ حتى يألَفوها، وتتعلَّقَ قلوبهم بها؛ ضمانًا لِحُسن تنشئتهم وتربيتهم على طاعة الله، والبعد عن معصيته، قال - تعالى -: "**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** "[1]، فالآية الكريمة قصرت "تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين، أي: إنما يصح ويستقيم أن يعمرها عمارة يعتد بها مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..."[2]، فهؤلاء قلوبهم توجهت إلى الله وعملت جوارحهم بطاعته لذا ختمت الآية بمكافأة الله لهم بالهداية والثبات على الصراط المستقيم.

أيضًا بين نبينا المنزلة الأخروية لمن يعتاد المساجد بقوله " **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ،.....منهم: وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ** "[3]، فالأمة بحاجة ماسة لتربية أبنائها في محاضن المساجد وحلق تحفيظ القرآن الكريم، فبتعلم القرآن وحفظه تسمو نفس الولد، وتتهذب أخلاقه، ويقوى إيمانه، ويمكن إيجاز دور المسجد في النقاط التالية:

---

(١) التوبة/١٨.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، جـ٤/ صـ٥١، دار إحياء التراث العربي.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الزكاة - باب الصدقة باليمين جـ٢/ صـ٥١٧، رقم (١٣٥٧)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة - باب فضل إخفاء الصدقة جـ٢/ صـ٧١٥، رقم (١٠٣١)

١- المسجد له دور مكمل لدور الاسرة في عملية التنشئة الاجتماعية المبنية على أسس الاسلام وتعاليمه، ففي المسجد بدأ الرسول الكريم تكوين خير أمة أخرجت للناس.

٢- يعتبر المسجد مركزًا للتوجيه فهو جامعًا للصلاة، وجامعة لتلقي العلم والمعرفة ففيه تزود الافراد بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة، ومعالجة المشكلات الاجتماعية المتجددة، والتحذير من الفتن بأنواعها، وغيرها مما يطرأ على الساحة من مستجدات.

٣- تُعد المساجد بمثابة جهاز إنذار مبكر ينذر أفراد المجتمع بالأخطار التي تهدد الأمن الفكري والعقدي، وذلك عن طريق الخطيب الجيد الذي يعيش واقع المجتمع.

٤- الأثر الكبير لخطبة الجمعة في توعية الأفراد من الأخطار والانحرافات السلوكية والفكرية، فهي تعد نوعًا من أنواع الاتصال المباشر بين الخطيب والمسلمين.

وهذا يستوجب تجديد وتطوير أسلوب الخطاب الدينيِّ ليجمع بين الأصالة والمعاصرة، فيستمدَّ أصالته وقواعده وأحكامه من الكتاب والسنة، ويواكبَ في أسلوبه وطريقة عرضه حاجة العصر ومتغيراته ومشكلاته، بحيث يكون قريباً من واقع الناس وقضاياهم، يخاطبهم بما يعقلون، ويبيِّن لهم الصواب فيما يحتاجون.

٥- التوعية الفكرية لأفراد المجتمع، وذلك عن طريق:

- التحذير من الأفكار المنحرفة، وبيان آثارها الدينية والاجتماعية والأخلاقية على الفرد والمجتمع.
- بيان خطورة الغلو والتطرف، وما يُنتجه من عدوان وإفساد وقتل وتدمير.
- تعريف الأفراد بوسائل الغزو الفكري، وتوعيتهم بأخطاره وسُبل مواجهته... وغيره.

٧- التعرف على الأفكار المنحرفة، وتحصين الشباب ضدها:

الفكر المنحرف يتسم دائماً بقدرته على تشويه الحقائق وقلب المفاهيم، وأصحابه يحتجون له بأدلة غير كافية، وبراهين غير واضحة، بل أحيانًا تكون مناقضة للواقع، ويستعملون الكلمات والألفاظ بمعان مُبهمة أو في غير موضعها، بالإضافة إلى صياغة أفكارهم بشكل منمق يجذب الضحايا من الشباب وغيرهم، بعبارة أوجز: يدسون السم في العسل.

لهذا أصبح من الضروري التعرف على تلك الأفكار المتطرفة وآثارها وكشف خطرها مبكرًا من قِبَل جميع مؤسسات المجتمع خاصة المؤسسات الإعلامية فعليها يقع واجب كبير للإسهام في لجم كل انحراف، وإبراز عواره، والتحذير من عواقبه قبل أن يصل إلى أفراد المجتمع فيتأثرون به، لأن الفكر الهدام ينتقل بسرعة كبيرة جداً ولا مجال لحجبه عن الناس، لاسيما في عصرنا الحالي الذي ظهر فيه طوفان البث الفضائي المرئي والمسموع والمقروء، وظهور شبكة الانترنت بما فيها من غثٍ وسمين، مما جعل مصادر التلقي أمام الشباب متعددة ومتنوعة، لذا فإن أهمية السبق بالبيان قبل التأثر كبيرة في الوقاية من الفكر المنحرف، بل هو منهج قرآني دل عليه قول تعالى: "**وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**"[(١)]، فالآية الكريمة تكشف عن منهج قرآني، " منهج لا يعنى ببيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين فحسب، إنما يعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين أيضًا، إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين، كما أن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق، ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل" [(٢)]، لهذا " فإن سبيل المجرمين إذا استبانت واتضحت، أمكن اجتنابها، والبعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه

(١) الأنعام/٥٥.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب جـ٢/ صـ١١٠٥ بتصرف واختصار، دار الشروق، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة الثانية والثلاثون.

لا يحصل هذا المقصود الجليل "[1]، أيضًا يدل على ذلك ما جاء في الصحيحين: أن الناس كَانَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ، وكَانَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ - رضى الله عنه - يسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَهُ.[2]، فمن لم يعرف الشر يقع فيه.

٨- الوعي الصحيح بالحقوق التي أمرنا بها الدين:

شرع الإسلام حقوقًا عظيمة يجدر بمعتنقيه وأتباعه تعلمها ومن ثم تطبيقها، إذ بالعمل بها يتحقق سلامة المجتمع وأمن أفراده عقديًا وسلوكيًا وفكريًا، وباب الحقوق باب واسع، ولكن يوجد حقوق في إبرازها والتركيز عليها وقاية وحماية للمجتمع المسلم من الانحراف، أهمها: حق لزوم جماعة المسلمين وطاعة إمامها في غير معصية، حق المسلم على أخيه المسلم، حق غير المسلم في الإسلام، وسأعرج على كل حق فيما يلي:

---

(١) تفسير السعدي جـ٢/ صـ٤٧٧.

(٢) ونص الحديث: " أن أَبا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ. (الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن - باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة جـ٦/ صـ٢٥٩٥، ٢٥٩٦، رقم (٦٦٧٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة- باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن جـ ٣/ صـ ١٤٦٧، رقم (١٨٤٧).

أولاً: حق لزوم جماعة المسلمين، وطاعة إمامها في غير معصية:

إن من الأصول العظيمة والحقوق الهامة التي أكدها الإسلام وأمر بها: لزوم جماعة المسلمين، فعلى كل المسلم وعي ذلك جيدًا، وإدراك عاقبة الخروج عنها، المؤدي إلى الفرقة والاختلاف، قال -تعالى-: " **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ** "[1]، "فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام"[2]، كما أن الله برأ رسوله ممن فرق الدين فقال: " **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** "[3]، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: " والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه كأهل الملل والنحل - وهي الأهواء والضلالات - فالله قد برأ رسوله مما هم فيه. "[4]، ولا يخفى أن الاختلاف من أخطر الأمور التي تؤثر سلباً على المجتمع المتماسك حين تسري إليه، فتوجد به الانشقاق والتنافر مما يهدد وحدته وأمنه، ويفتح أبواباً من أبواب الشر والغواية والإضلال.

وقد أمر نبينا الكريم ﷺ بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم في حديث حذيفة – رضى الله عنه – المتقدم، فقال له: " **تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ** "[5]، بل أمر ﷺ بقتل من أراد أن يفرق الجماعة، فقال: " **إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ**

(١) آل عمران /١٠٣.
(٢) تفسير السعدي جـ١/ صـ٢٣١.
(٣) الأنعام /١٥٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٣/ صـ٣٧٧.
(٥) الحديث سبق تخريجه ينظر صـ٥٧.

يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ "[1]، من هذه الأدلة وغيرها كثير يستنبط أنه من الأهمية بمكان أن يربى أفراد المجتمع المسلم على قاعدة أساسية، هى: أن أمن الفرد لا ينفك عن أمن المجتمع، فالجماعة أشبه بالسفينة، وأي خرق فيها سيؤدي إلى غرقها، لذا تعين على الجميع المحافظة عليها، كما ذهب أكثر أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يجوز الخروج على الإمام الظالم الجائر بالسيف ما لم يصل به ظلمه وجوره إلى الكفر البواح، لحديث عبادة بن الصامت – رضى الله عنه - **" بَايَعَنَا رسول الله عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ "**[2]، لأن الضرر في الصبر على جور الحكام أقل منه في الخروج عليهم، لما يؤدي إليه من الهرج والمرج، فقد يرتكب في فوضى ساعة من المظالم ما لا يرتكب في جور سنين، قال الإمام ابن تيمية: "وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر، أعظم مما تولد من الخير".[3]

ثانيًا: حق المسلم على أخيه المسلم:

أيضًا من الحقوق التي أكد عليها الإسلام وأمر بها حفاظًا على كيان المجتمع واستقراره وصيانة لفكر أفراده من الانحراف: موالاة المؤمن لأخيه المؤمن

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع جـ٣ / صـ١٤٧٩، رقم (١٨٥٢)، ومعنى قوله " إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ "، أي شرور وفساد، ويقال: في فلان هنات، أي: خصال شر، ولا يقال في الخير. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ٥/ صـ٢٧٩)

(٢) صحيح البخاري: كتاب الفتن - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أمورا تنكرونها جـ ٦/ صـ ٢٥٨٩، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية جـ٣ / صـ١٤٧٠، واللفظ للبخاري.

(٣) منهاج السنة النبوية لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق د محمد رشاد سالم جـ٤/ صـ ٥٢٨، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

سواء كان من أهله أو بلده أو لونه أو جماعته..، والموالاة أصل من أصول الإسلام ينبغي أن يربى عليه الأبناء، حتى يسعهم تطبيقه في حياتهم، والأدلة على الموالاة كثيرة، منها قوله -تعالى-: " **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ** "(١)، ففي الآية " إشارة إلى أن اللحمة الجامعة بين المؤمنين والمؤمنات هي ولاية الإسلام، فهم فيها على السواء ليس واحد منهم مقلدًا للآخر ولا تابعًا له على غير بصيرة، لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر"(٢)، كما أكدت السنة النبوية هذا الحق ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة - ﷺ- أن رسول الله ﷺ قال: " **لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ** "(٣)، فالأصل في علاقة المسلم بأخيه المسلم أن تبنى هذه العلاقة على الأخوّة والتراحم والتعاطف، والتلازم، وعلى الأقل لا ضرر ولا ضرار، وذلك إذا لم يتمكن المسلم من فعل الخير فليكف أذاه عن إخوانه المسلمين، إذ إتيان المرء بما حرمه الله في حق أخيه المسلم يعد انحرافًا، فكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ولذلك سنّ الله - تعالى - الحدود لعقاب من يتعدّى على حرمات الناس، فجعل القصاص جزاء للقتل المتعمد، وقتل اليد عقوبة السارق، والرجم عقوبة الزاني المحصن، والجلد والتعزير عقوبة الزاني غير المحصن، والقتل والصلب جزاء الحرابة، والجلد عقوبة رمي المحصنات، فكل هذه الأعمال خروج عن حدود الله – تعالى - وانحراف عنها في حق المسلم. إن مراعاة المسلم لحقوق أخيه المسلم، وبروز هذا الأصل في حياتنا ومجتمعاتنا يعد كفيلاً لدحض ودحر كل فكر منحرف وسلوك معوج.

---

(١) التوبة/٧٠.

(٢) التحرير والتنوير جـ ١١/ صـ٢٦٢٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله جـ٤/ صـ، ١٩٨٦، ١٩٨٧، رقم (٢٥٦٤).

ثالثًا: حق غير المسلم في الإسلام:

قدر الله أن لا يؤمن أهل الأرض كلهم، فقال: "**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**"(١)، ولا يتصور مع بقاء الكفر على وجه الأرض أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات الأخرى، لهذا نظم الدين الإسلامي علاقة المسلم بغيره، علمًا بأن منهج الإسلام في هذه العلاقة قائم على الرحمة والسلام والبر والعدل، فلا يحل ظلم غير المسلم أو إيذاؤه والاعتداء على نفسه أو عرضه أو ماله، إذا كان مسالمًا أو مستأمنًا أو معاهدًا، فالإسلام دين سمح حتى مع غير المسلمين، ومن مظاهر هذه السماحة:

أ- **الندب للإحسان إليهم والبر بهم،** قال-تعالى- " **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**"(٢)، قال الإمام القرطبي: "هذه الآية رخصة من الله في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم"(٣)، ومعنى الآية: "لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا تبعة".(٤)

ب- عدم إكراههم على ترك دينهم: فيتركون وما يدينون ولا يكرهون على الدخول فى الإسلام بعد دعوتهم إليه بالحكمة والرحمة، لقوله – تعالى - "**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**".(٥)، فالآية " دليل على أن أهل الذمة لا يكرهون على الإسلام ".(٦)

---

(١) يونس/٩٩.

(٢) الممتحنة/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ١٨/ صـ٥٣.

(٤) تفسير السعدي جـ٨/ صـ١٨١٥، ١٨١٦.

(٥) البقرة/٢٥٦.

(٦) الإكليل في استنباط التنزيل للإمام جلال الدين السيوطي صـ٦١، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤٠١ هـ-١٩٨١ م

ت- حرمة قتلهم: قال النبي الكريم ﷺ **"مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا "**.(١)

ث- وجوب العدل معهم، فكفر الكافرين وظلمهم لا يمنع من العدل فيهم، لهذا صرح بالأمر به في قوله - تعالى -: **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"**(٢)، أي: " لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل،.....وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين.(٣)

ج – الحث على مراعاة حقوقهم: فقد صرح النبي ﷺ بخصومته يوم القيامة لمن لا يراعي حقوقهم، فقال: **" أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**.(٤)

فهذه جملة من الحقوق ينبغي تعلمها وتعليمها حتى يأمن المجتمع ويُحصن فكر أفراده، وتظهر الأمة بالصورة التي يريدها الله، لا التي يريدها الأعداء لصد الناس عن الدين الحق والصراط المستقيم.

هذه أهم وسائل القرآن الكريم للوقاية من الفكر المنحرف والسيطرة عليه قبل أن تتسع دائرته، أما إذا لم تُجدْ الوسائل الوقائية، ولم تؤد دورها في سد طرق الفكر المنحرف من التغلغل في عقول الأفراد، فحينئذٍ لا بد من استخدام وسائل أخرى

---

(١) الحديث سبق تخريجه صـ.

(٢) المائدة/٨.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التنزيل للإمام ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي جـ٢/ صـ١١٨، دار إحياء التراث العربي.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات جـ ٣/ صـ ١٧١، رقم (٣٠٥٢)، السنن الكبرى للإمام البيهقي: كتاب السير: جماع أبواب الشرائط التي يأخذها الإمام على أهل الذمة وما يكون منهم نقضا للعهد - باب لا يأخذ المسلمون من ثمار أهل الذمة ولا أموالهم شيئا بغير أمرهم إذا أعطوا ما عليهم وما ورد من التشديد في ظلمهم وقتلهم جـ٩/ صـ٢٠٥، رقم (١٨١٥٩).

علاجية يتم من خلالها المُعالجة للفكر والعقل والسلوك، وهذا ما تناوله المطلب التالي.

المطلب الثاني: وسائل العلاج من الانحراف الفكري:

الانحراف الفكري مرض عقلي يصيب الفكر وتظهر أعراضه على السلوك، والواقع العملي يثبت أن بعض فئات المجتمع أصيبت به، لهذا كان لزامًا على مؤسسات المجتمع المختلفة، والأسر والأفراد أن تتكاتف جهودهم لمكافحته وإيجاد العلاج الناجع له، فلكل داء دواء. وثمة أمر يجدر أخذه بعين الاعتبار هو: أن معالجة هذا المرض العقلي أصعب على صاحبه من المرض العضوي، إذ يتوقف العلاج على إقناع المصاب فكريًا بفساد عقله ومجانبته الحق والصواب، وهذا أمر يحتاج لمصابرة ومجاهدة، فكم رجع بالصَّبرِ وحُسنِ البيان أناسٌ غُرِّر بهم، فأصبحوا بعد أن علموا الحقَّ وعملوا به، هداة مهديين، ولا يتأتى ذلك إلا لمن وفقه الله - سبحانه - وأعانه، وفيما يلي أهم الوسائل العلاجية التي أشار إليها القرآن الكريم مع تعزيزها بهدي النبي الكريم ﷺ:

١ - الدعـــاء:

وهو سلاح عظيم له أثر كبير في حلول الاستقرار النفسي والأمن الفكري، بل هو المدخل الأساسي للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ومع أهميته أهمله كثير من الناس، فكثير من الاضطرابات الفكرية والنفسية يكون الدعاء مؤثرًا في زوالها وتلاشيها، شريطة أن يصاحب الدعاء بذل السبب في العلاج، لأنّ لكل مسبب سبباً، ووراء كل معلول علةً، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله في الدعاء، ومما يدل على عظم فضيلة الدعاء قوله - تعالى - " **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ** "[(١)]، والمعنى: أنه لولا دعاؤنا له تعالى دعاء العبادة ودعاء المسألة لم يعبأ بنا ويبالي" [(٢)]، بل إن المسلم لا يكاد يكرر دعاءً ولا كلاماً

(١) النور/ ٧٧، والإكليل في استنباط التنزيل، للإمام جلال الدين السيوطي صـ ١٩٨، دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ط أولى.

(٢) تفسير السعدي جـ٥/ صـ ١٢١١ بتصرف يسير.

في حياته كتكراره لقوله "**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**"(١)، أيضًا كان ﷺ أكثر الناس دعاءً لربه يسأله الهداية للصواب، وهو المؤيد بالوحي فكان يقول في دعائه "**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**".(٢)

٢- استخدام أسلوب الحوار البنّاء:

الحوار أسلوب علاجي ناجح في تصحيح الفكر الخاطئ وتقويم اعوجاجه، وبناء المفاهيم الصحيحة، وبيان الحق بالحجة والأقناع، والرد على الشبهات بأسلوب يزيل الغشاوة عن الأبصار ويجلي ران القلوب، امتثالاً لقوله - تعالى -: " **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** "(٣)، فالآية الكريمة ذكرت ثلاث مراحل للحوار وآدابه، بينها الإمام السعدي عند تفسيره لها،: **المرحلة الأولى: الدعوة بالحكمة**، " ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين "، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه **للمرحلة الثانية: الدعوة بالموعظة الحسنة:** وهى الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل. فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، **فهنا يسلك معه المرحلة الثالثة: فيجادل بالتي هي أحسن**، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلًا،

(١) الفاتحة/٦.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه جـ ١/ صـ ٥٣٤، رقم (٧٧٠).
(٣) النحل/ ١٢٥.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها."[1]، أيضًا قوله - تعالى – لموسى عليه السلام: " **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** "[2]، قال ابن كثير: " هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين "[3]

هذا وقد سجل القرآن الكريم والسنة النبوية نماذج للحوار بمختلف مراحله، ليعلم الجميع أن هذا الدين تبنى دعوته على أسلوب الحوار المقنع والحجة العقلية، منها: محاورات لبعض أنبياء الله - عليهم السلام - مع أقوامهم، محاورات مع أهل الكتاب ومشركي مكة، وغيرها. كما سلك النبي ﷺ هذا الأسلوب البنّاء في حواراته مع اصحابه – رضوان الله عليهم –، من ذلك على سبيل الاستشهاد: حواره مع الشاب الذي أتاه قائلاً " **ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا** "[4].

---

(١) تفسير السعدي جـ٤/ صـ٩٠٨.

(٢) طه/ ٤٢-٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٥/ صـ٢٩٤.

(٤) نص الحديث: " عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: " ادْنُهْ "، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ "، قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ "، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ "، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (الحديث أخرجه أحمد في المسند: مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ - مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ، حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدَيِّ جـ٥/ صـ٢٥٧ رقم (٢١٧٠٨)

الشاهد في الحديث: أن النبي ﷺ عالج الموقف بلطف وحكمة، وتفهم ما بداخل الشاب من مشاعر، فتعامل معه بمنطق الإقناع العقلي المصاحب للشفقة واللين، فاستخدم ﷺ **أولاً: الأسلوب العاطفي في الأقناع**، نلحظ ذلك في قوله: "ادْنُهْ"، "فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، ولا شك أن مخاطبة العاطفة في مواطن كثيرة تكون مفتاحًا للإقناع، كما استخدم ﷺ ثانيًا: **الأقناع بالأسلوب العقلي**، نجد ذلك في قوله: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ "، " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ "، " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ "، " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ "، " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟"، وكان يكفي قوله: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ "، لكنه عَدَّدَ محارمه زيادة له في الإقناع، وهكذا غرس النبي الحق وأبانه بأسلوب هادئ انتهى بانتصار الحق ودحض الشر.

أيضًا ملاحظة مهمة: في طلب الشاب الأذن من النبي ليزني، دليل واضح على أن باب الحوار الحر كان مفتوحاً معه ﷺ دون خوف أو وجل، لهذا تمت معالجة هذا الانحراف الفكري في مهده، وهذا ما يجب أن يحرص عليه الجميع سواء مربي، أو عالم، أو داعي ففتح باب الحوار دون خوف هو المفتاح لصرف العقول والقلوب عن المخالفات، ولكي يؤتي أسلوب الحوار ثمرته المرجوة لابد أن يقوم على أسس وضوابط شرعية، منها:

١- إخلاص النية لله - تعالى -.
٢- العلم الصحيح.
٣- الاعتراف بالآخر واحترامه.
٤- التجرد لطلب الحق.
٥- تحديد موضوع الحوار وهدفه.
٦- الاتفاق على أصول مرجعية للحوار.
٧- الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق.
٨- عدم التناقض.

٩- سلوك الطرق العلمية والتزامها.[١]

٣- تبني فكر التعايش مع المخالفين:

وهذا المبدأ ارساه الإسلام، واتخذه منهجًا ووسيلة لمعالجة الانحراف الفكري الذي سببه الغلو والتشدد، لقد حدد القرآن ضوابط منهجية للتعامل مع المنحرفين والمخالفين في الفكر والدين والاعتقاد، وبتتبع النصوص القرآنية وتدبرها نلحظ أنها بينت الأطر المطلوب مراعاتها وتطبيقها في كل حالات الاختلاف مع الآخر، وسأسوق أمثلة وأدلة على ذلك:

- بيَّن القرآن أن التعامل مع المسالمين غير المعتدين لا يكون إلا بالبر والقسط والإحسان، قال - تعالى-:" **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**"[٢].

- أن التعامل مع المسيء يكون بالحسنى، والدفع بالتي هي أحسن "**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**"[٣].

- أن الدعوة لدين الله لا تكون إلا بالحكمة والموعظة " **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** "، والجدال لا يكون إلا " **بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** "[٤].

وقد تعامل النبي ﷺ مع المخالفين والمنحرفين بهذا الأدب القرآني الشرعي، ففي حديث ذي الخويصرة - على سبيل المثال – أستأذن خالد بن الوليد - رضي الله عنه- رسول الله ﷺ أن يضرب عنقه، لكنه قال: " **لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ**

(١) للاستزادة يرجع إلى كتاب ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، د مفرج بن سليمان بن عبد الله القوسي صـ٢١ - ٣٨، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(٢) الممتحنة/٨.

(٣) فصلت/٣٤.

(٤) النحل/ ١٢٥.

يُصَلِّي "[1]، **الشاهد في الحديث:** أن النبى ﷺ احتمل أذى الرجل لأنه من جماعة المسلمين، أيضًا المتأمل قول النبي ﷺ وعدم السماح بقتل الرجل، والأخذ بظاهر أمره يدرك مدى حرمة دم مسلم حتى وإن كان منحرفًا، وأنه يتوجب العمل على رد هذه الفئة الضالة إلى الحق والصراط المستقيم، فذاك من أعظم الأولويات.

ومما يعين أيضًا على التعايش مع أصحاب الفكر المنحرف: بناء جسور ممدودة للتواصل معهم، فهذا أسلوب فعال لفهم أفكارهم وحل الكثير من المشكلات "إن تقبل ذوي الانحراف الفكري هو أول شروط مساعدتهم وتعديل انحرافاتهم، ثم يأتي الصدق والإخلاص في علاجهم، ومعرفة الدوافع المحركة لسلوكهم وأفكارهم،...ولتحقيق ذلك يجب مراعاة ما يلي:

أ- توقف الاتهامات والشكوك التي تسود علاقة الطرفين، والتوقف عن وصف الآخر بأنه عدو مبين لا يمكن الحوار معه والاطمئنان له.
ب- احترام مكانة العقل ودوره في حل المشكلات، ومحاولة الوصول إلى حلول واقعية لقضايا الخلاف الفكري بين الطرفين.
ت- احترام الرأي الآخر والبحث عن أرضية مشتركة من الاجتهادات والآراء والأفكار المعتدلة، وذلك باستخدام وسطية الفكر والسلوك"[2]

٤- بيان أهمية التراجع عن الخطأ، والتماس العذر لمن اخطأ:

لا أحد في هذه الحياة يخلو من خطأ - سواء كان قاصدًا أم لا -، فمن سنن الله في الإنسان أنه خطاء، وهذا ليس عيبًا، إنما تكمن الخطورة في الإصرار على الخطأ والتمادي في الباطل، والمخطئ أحيانًا لا يشعر أنه أخطأ، بل إن كثير من دعاة الفكر المنحرف يعتقدون أنهم على خير، بل قد يريدون بأعمالهم التخريبية

(١) سبق تخريجه صـ ١٤.
(٢) ينظر الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، صـ٧٦، ٧٧، د محمد دغيم الدغيم، الكويت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦هـ بتصرف واختصار.

والتدميرية التي يقومون بها حسن الجزاء يوم القيامة. لهذا ينبغي أن تزال الغشاوة عن أعينهم ليعلموا خطأهم، فكل من المخطئ والجاهل والمنحرف له حق على مجتمعه، يتمثل في توعيته ونصحه وتوجيهه أولاً، وإلا تقويم اعوجاجه وانحرافه بأفضل الطرق وأقومها ثانيًا، وبيان الحق بأسلوب علمي هادئ مؤيد بالحجة والبرهان دون اتهام للنيات فقد تكون صادقة، ولكن هذا لا يغني عن صاحبها شيئاً كما قال - تعالى-: " **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً** "[1]، فقد يتعب الإنسان نفسه بأعمال لا تجدي يوم القيامة، وتصير هباءً منثورًا، قال الإمام البيضاوي في أحد قوليه عند تفسير الآية: " أنها عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يوم القيامة"[2].

بالإضافة لذلك فإن الاعتراف بالخطأ وعدم التمادي فيه خُلق رفيع ندب إليه الدين الحنيف، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله، عليه قال - تعالى -: " **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** "[3]، "وهذه الآية - وإن كانت نزلت في أناس معينين - إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين"[4]، فالله - سبحانه - لا يتعاظمه ذنب أن يغفره حتى الكفر به إن تاب منه العبد توبة صادقة فإنه - سبحانه - يتوب عليه، والآيات في هذا كثيرة، قال - تعالى -: "**أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**"[5]، **ومما يعين على التراجع عن الخطأ والرجوع للحق**، التوصل إلى فهم مشترك مع أصحاب التطرف والغلو والفكر المنحرف، وذلك عن طريق عدة أساليب منها:

- التماس العذر لمن أخطأ وأراد التوبة والرجوع إلى الحق، واحترام هذا الخُلق.

---

(١) الغاشية/ ٢- ٤.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي جـ٥/ صـ٣٠٧
(٣) التوبة/١٠٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤/ صـ٢٠٦.
(٥) المائدة/٧٤.

- احتواء أهل العلم والحكمة لهذه الفئة، وبيان أساليب أعداء الدين في خداعهم وتضليلهم

والتغرير بهم، وما أدت إليه من إساءات لدينهم ومجتمعهم، والتأكيد على عدم الوقوع في براثنهم مرة أخرى، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.

- الاستفادة في مرحلة العلاج من العلماء، والدعاة، والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين، من أجل إقناع من تأثر بالفكر المنحرف، وتصحيح ما لديه من مفاهيم خاطئة.
- أيضًا من النافع دعوتهم للاعتبار بما جرى لبعض أفراد الجماعات الإسلامية المتطرفة الذين انحرفوا عن طريق الحق والجادة سنوات ثم اكتشفوا أنهم على الباطل، فرجعوا إلى الحق، ولم يصروا على ما فعلوا.

٥- انشاء مراكز فكرية وبحثية لمكافحة الفكر المنحرف: يتم تزويدها بكفاءات عالية من كبار العلماء المتخصصين في مختلف العلوم: الشرعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية، وتتمثل مهمة تلك المراكز في:

- تزويد الكفاءات بكل أدوات المعلومات العلمية المتاحة التي تعينهم على التعامل مع واقع العصر.

- تدريبهم على الإجابة عن التساؤلات الفكرية التي تدور في أذهان الشباب المسلم، التي أصبحت تنمو سريعًا في ظل طوفان البث الفضائي.

- التدريب على محاورة أصحاب الفكر المنحرف، وتفنيد ما يثيرونه من شبه والرد عليها.

- إجراء دراسات متعمقة عن ظاهرة الانحراف الفكري، وتحليلها.

- اطلاق حملات مكثفة للتصحيح الفكري وإعادة تشكيله بتعديل الأفكار المنحرفة والسلوكيات المتطرفة، وهذا يُسهم - ولا شك - في المعالجة الفكرية، ويُسَرّع في عملية الإصلاح والتأهيل، ويعين في عودة الفرد المتعافي من الفكر

المنحرف إلى مجتمعه الأصيل. وهذه المهمة لا يستطيع أن يقوم بحقها كل أحد، فهى مطلب كفائي على أهل القدرة علمًا وبيانًا، يدل على ذلك طلب موسى - عليه السلام - أن يجعل الله أخاه هارون معينًا له في تقرير حجته لقوة منطقه، وقدرته على دحض الشبه وبيان زيفها، فقد كان لسان موسى لا يطاوعه عند المحاجة، فقال: " **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**"(١)، كما أن أنجح الطرق في محاربة الباطل دحضه بالحق والعلم الصحيح البين، قال - تعالى -: " **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**"(٢).

٦- الاستفادة من التجارب السابقة واستثمارها في مقاومة الفكر المنحرف:

إنَّ الأخذ بتجارب الآخرين والاستفادة منها - بشكل عام - يفتح للإنسان آفاق واسعة في الجانب العملي، ويُهيئهُ للأخذ بأسباب التقدم والرقي، والإنسان الحاذق العاقل هو الذي يستطيع أن يستفيد من تجارب الآخرين استفادة مطردة ومستمرة، يدل على ذلك قوله - تعالى- "**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**"(٣)، أي: عظة لأهل العقول(٤)، أما الذي يرى نفسه في استغناء عن التجربة التي مرت على الآخرين، فهو غير مدرك للعواقب الوخيمة المترتبة على عدم الاستفادة من الأدوار المشابهة التي مر بها غيره، وهذا ولا شك يُعرضه لمشاكل جمة، لكونه لم يأخذ بالأسباب التي أخذ بها غيره.

إن الاستفادة من تجارب الآخرين منهج دعا إليه الإسلام، فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن حوادث ووقائع في حياة الأمم السالفة، إنما يذكرها لأهداف وغايات محددة، لعل أبرزها:

(١) القصص/ ٣٤.
(٢) الفرقان/ ٣٣.
(٣) يوسف/١١١.
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن جـ٢/ صـ٢٢٠.

أ- أخذ العبر والاستفادة من تجارب السابقين، يدل عليه قوله - تعالى - "**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**"(١).

ب- إثارة فكر الإنسان لمعرفة سنن الله في أرضه، "**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**"(٢).

ت- رفع المعنويات وشحذ الهمم، "**وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**"(٣)

مما سبق يتضح أنه من النافع جدًا " الاستفادة من التجارب السابقة في صياغة برامج لمعالجة الانحراف الفكري بالتعاون مع الذين غادروا الفكر المنحرف والمتطرف وتابوا عنه والاستفادة منهم، وإن أمكن إشراكهم في صياغة بعض البرامج حيث أنهم أقدر الناس على التحاور مع الواقعين في مثل هذا الفكر المنحرف، والتعامل معهم بمرونة فائقة، لأنهم يعرفون الواقع الحقيقي الذين يعيشون فيه"(٤).

٧- إيجاد وتعزيز الأنظمة والقوانين التي تُجرِّم الفكر المنحرف ودعاته:

كثير من المخالفات الشرعية التي يرتكبها أصحاب الفكر المنحرف ليس لها في الشرع عقوبة خاصة بها، لهذا كان على ولاة الأمر أو الجهات المعنية تقدير العقوبة المناسبة إذا رأوا أنها تمثل خطورة على المجتمع المسلم، فلهم أن يعاقبوا هذا المنحرف بما يرونه مناسبًا لجرمه وذنبه، وهذا ما يسمى في علم الفقه بـ " التعزير"، وهو عبارة عن "تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويختلف

(١) يوسف/١١١.
(٢) الأعراف/١٧٦.
(٣) هود/١٢٠.
(٤) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، صـ٨٠، د محمد دغيم الدغيم.

حكمه باختلاف حاله، وأحوال فاعله" [1]، وسميت هذه العقوبة تعزيرًا "لأن من شأنها أن تدفع الجاني وترده عن ارتكاب الجرائم، أو العودة إليها"[2]

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تفيد بمضمونها مشروعية التعزير، منها قوله - تعالى- "**وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**"[3]، **ووجه الاستدلال بهذه الآية:** أن رسول الله ﷺ هجر الصحابة الذين نزلت الآية بحقهم بعد تخلفهم عن المشاركة في غزوة تبوك دون عذر، كما أمر المسلمين بهجرتهم، وكانت هذه الهجرة بمثابة التعزير لهم، إلى أن تاب الله عليهم.

وثمة أنواع للتعزير غير الهجر كالتعزير بالقتل إذا كان فساد المجرم لا يندفع إلا بالقتل، أو الجلد، الحبس وغيرها، وكلها تهدف للحد من المعاصي والجرائم التي تتعلق بالمصلحة العامة في المجتمع الإسلامي، فإنَّ من الناس من لا يمنعه عن ركوبِ الانحرافات ونشرِها بين الناس إلا عقوبة ولي الأمر؛ لضعف إيمانه وقلة خوفهم من الله، فلا تؤثر فيه الزواجر والنواهي، لهذا كان تطبيق العقوبات التعزيرية المختلفة مدخلًا لأمن الأفراد والجماعات، لأنه يؤدي إلى:

أ- حماية الشريعة الإسلامية لضرورات الحياة، خاصة الكليات الخمس.

ب- سد منافذ الجريمة، وذلك بزجر الجاني حتى لا يعود إلى جنايته، وفيه أيضًا عظة للغير.

ج- استتباب الأمن وتوطيد دعائمه في المجتمع الذي يطبق هذه العقوبة.

---

(١) الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي صـ٢٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) الموسوعة الفقهية جـ١٢/ صـ٢٥٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ الكويت، ط ثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٣) التوبة / ١١٨.

د- علاج آثار الجرائم التي تهدد أمن المجتمع، والتي تتعلق بصفة خاصة بأمن الدولة وحفظ نظامها، وهذا لما له من أثر طيب ونتائج حميدة، على حياة الناس ومصالحهم وأحوالهم.

مما سبق يتضح ضرورة سن أنظمة وقوانين تُجرِّم مختلف أنواعَ الفكرِ المنحرفِ وأصحابَه، لما يترتب على ذلك حماية مصالح الناس، وردع المجرمين من ارتكاب الجرائم، واعتبار من تسول له نفسه بهذا الشئ.

٨- توظيف الإعلام ووسائل التكنولوجيا:

مما لا شك فيه أن الإعلام وكذا وسائل التواصل الاجتماعي بوسائطها المتعددة وشبكات المعلومات (الأنترنت) سبب قوي في نشر فكر الغلو والتطرف لدى فئة الشباب، وإقحامهم في الانحراف الفكري، بالإضافة إلى تقويض الأمن الفكري، الأمر الذي يحتم إيجاد بث إعلامي إسلامي مضاد لإزالة فساد هذا الفكر المنحرف، يحافظ على تعزيز الأمن الفكري في الأمة وذلك بـ:

١- التعاون مع العلماء والدعاة أصحاب الفكر المعتدل الذين منحهم الله القدرة على الكتابة أو الخطابة، فإن الجهود إذا تضافرت أسهم الإعلام ووسائله في توفير الأمن الفكري للشباب.
٢- إعداد جيل من الدعاة والأئمة والخطباء المتخصصين في التعامل مع الأنترنت بحرفية وسرعة فائقة، مع التمتع بقدرة على التفنيد الفكري والرد على الشبهات.
٣- استثمار وسائل التواصل الاجتماعي واستخدامها في توعية فئة الشباب بمخاطر الأفكار المنحرفة، وتنبيههم عن مكامن الخطر ورد الشبهات بأسلوب علمي متقن.

وهذا ما دعانا إليه ديننا الحنيف، قال - تعالى - " **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** "[1]، "أي: وأعدوا لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. ما استطعتم من قوة أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة...وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم"[2].

٩- الحزم والقوة وتطبيق الحدود الشرعية:

وهذا من أهم الوسائل العلاجية التي تُعني بوقاية أفراد المجتمع من الفكر الفاسد إذا استنفذت كل الوسائل في تعديل وتقويم الأفكار المنحرفة للأفراد أو الجماعات، فإنه لابد من تطبيق الحكم الشرعي العادل على العابثين في أمن المجتمع والمنتهكين لحقوق أفراده، فتنفيذ الحدود في حقهم بسبب مجاهرتهم بأفكارهم وإصرارهم عليها يعد علاجًا قويًا، تكسر به شوكتهم ويقطع دابرهم، وذلك امتثالاً لقول الله - تعالى - " **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** "[3]، ذلك لأن الشريعة جاءت بالمحافظة على عقول الناس وأفكارهم من كل ما يغيرها ويفسدها ويبعدها عن الطريق المستقيم، ففرضت العقوبات الرادعة الزاجرة لكل من تسول له نفسه العبث بفكر الناس وأمنهم، " فحد القصاص والقتل والرجم والقطع والحرابة والبغي والإفساد في الأرض كلها زواجر للحفاظ على أمن المجتمع الشامل"[4]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى " **إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**"[5]،

(١) الأنفال/٦٠.
(٢) تفسير السعدي جـ٣/ صـ٦٢٦
(٣) النساء/١٢٣.
(٤) الأمن الفكري، د عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط أولى، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
(٥) المائدة/٣٣.

فالآية كما بينت عظم جرم الإفساد في الأرض، بينت أيضًا " أن تطهير الأرض من المفسدين،.....، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض"(١).

أيضًا الانحراف درجات متفاوتة، ووسائل علاجه تختلف باختلاف درجته، فقد يتطلب الأمر أن يكون تصحيح بعض الانحرافات بالقتل، خاصة إن كان أصحابها ذا شوكة ومنعة، كما حدث مع الخوارج، فكل من دعا إلى شق عصا المسلمين، وتفريق وحدتهم؛ يدخل في هذا الباب، قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: "**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ**"(٢) قال النووي - رحمه الله - معلقًا على الحديث: " فِيهِ الْأَمْر بِقِتَالِ مَنْ خَرَجَ عَلَى الْإِمَام، أَوْ أَرَادَ تَفْرِيق كَلِمَة الْمُسْلِمِينَ وَنَحْو ذَلِكَ، وَيُنْهَى عَنْ ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ قُوتِلَ، وَإِنْ لَمْ يَنْدَفِع شَرّه إِلَّا بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ كَانَ هَدَرًا"(٣)

وهذا الجزاء خوفاً من التفرق الذي يضعف الأمة أمام هجمات أعدائها، ومحافظة على فكر أبنائها من الانحراف.

تلك شذرات وإشارات تمثل جانبًا من منهج القرآن الكريم في تحصين فكر المسلم من الانحراف الفكري وتقويم اعوجاجه، وهو منهج يهدف إلى الحفاظ على فكر الأفراد وصيانته، والالتزام بالمنهج الاسلامي الصحيح الذي يحقق أمن المجتمع واستقراره.

---

(١) تفسير السعدي جـ٢/ صـ٤١٦.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع جـ٣/ صـ ١٤٨٠، رقم (١٨٥٢).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي جـ٤/ صـ٥٥٠.

الخاتمة

ختم الله لنا بالحسني وزيادة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه كما يحبه ربنا ويرضى، والصلاة والسلام علي أزكي خلق الله سيدنا وسيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله وعلي آله وصحبه، ومن دعا بدعوته وسار علي هديه إلي يوم الدين، أما بعد:

فإن من نعم الله عليّ – ونِعَمُهُ لا تعد – أن وفق وأعان لإتمام هذا البحث، وتحسن الإشارة في نهايته إلى أهم النتائج، وأبرز التوصيات، وهي كالآتي:

أولاً أهم النتائج: تمخَّض البحث عن عدة نتائج أسردها فيما يلي:

١- إن كل فكر ورأي مخالف لنص الكتاب والسنة، أو كل تأويل للنصوص المتصلة بالعقيدة لم يقره الأئمة من أهل السنة والجماعة يعد انحرافًا فكريًا.

٢- الانحراف قديم النشأة تمتد جذورها لبداية الخليقة، لأن منشأه يرجع إلى طبيعة النفس الإنسانية وقابليتها للانحراف.

٣- الانحراف الفكري ظاهرة مركبة لها أسباب متنوعة ومتداخلة منها ما هو ديني، أو سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو نفسي، ومنها ما هو خليط من هذا كله أو بعضه، وقد يكون السبب ذاتياً مرتبطاً بالشخص المنحرف فكريًا، أو أسرته، وقد يكون المجتمع ذاته.

٤- أخطار الانحراف الفكري جسيمة تبدأ بصاحبه ثم تلحق بالمحيطين به، ثم تتسع الدائرة فتصيب المجتمع، لعل أبرزها: الإضرار بعقيدة الأمة، والتشكيك في ثوابتها، وهز قناعات أفرادها، وتهديد الوحدة الوطنية وبث روح الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد.

٥- حماية فكر أفراد المجتمع وتوعيته مسؤولية مشتركة، تقع على الفرد نفسه، وأسرته، ومؤسسات المجتمع المتنوعة.

٦- لن يتحقق الأمن العام لأي مجتمع إلا إذا تحقق أمن العقول من الانحرافات الفكرية، الذي لا يكون إلا بالاستقامة على المنهج الشرعي الصحيح لدين الله القويم.

٧- الوسائل الوقائية والمعالجات الفكرية النابعة من الكتاب الله وسنة رسوله كفيلة بدحر أي انحراف، وتقويم كل اعوجاج، على أن يتولى هذا الأمر من هو له أهل: كالعلماء الربانيين، والدعاة المصلحين، والعقلاء المصلحين.

ثانيًا التوصيات: وفق نتائج البحث يمكن صياغة التوصيات الآتية:

١- أهمية إنشاء مؤسسات ومراكز ترعى الأمن الفكري للمجتمع، مهمتها نشر الوعي الفكري، وتعزيز مبدأ الاعتدال والوسطية، والسعي لحصانة المجتمع فكرياً.

٢- الاهتمام البالغ بالشباب، فالمعاناة الاقتصادية وانتشار البطالة وقلة فرص العمل للخريجين وغيرها من الأسباب تؤثر في اندفاع الشباب نحو تبني أفكارٍ منحرفة تخالف منهج الإسلام.

٣- تفعيل الدور التوعوي للمؤسسات المجتمعية المختلفة تجاه تربية الشباب وحماية أفكارهم من الانحرافات المختلفة، وذلك لما تقوم به من التوجيه والإرشاد والتوعية الفكرية، وشغل أوقات الفراغ بالمفيد، وما تُقدّمه من برامج و مناشط تربوية وثقافية واجتماعية تُساهم في مقاومة الانحراف الفكري والتصدي له.

٤- زيادة الاهتمام بالمؤسسات الدينية، وتأهيل الأئمة والدعاة، بهدف تفعيل دور علماء الدين في نشر منهج الوسطية (فكرًا وسلوكًا) لدى أفراد المجتمع.

٥- اختيار الكوادر التعليمية المؤهلة علميًا وفكريًا ومهنيًا لتتصدى لمهنة التعليم، فعلى عاتقهم مسئولية تعزيز مبدأ الوسطية ونشر المفاهيم الصحيحة، وتهيئة البيئة التربوية المحفزة على الحوار وتبادل الرأي.

٦- إبراز مكانة أهل العلم، إذ لا يخفى أثرهم في ترسيخ معالم الوسطية والدعوة إلى الاعتدال.

٧- تفعيل دور وسائل الاعلام المختلفة ومتابعة ما تقدمه للمجتمع، والعمل على تعزيز برامجها الثقافية والتوعوية التي تدعم نشر ثقافة الاستقامة والاعتدال بين فئة الشباب، مع التحذير المستمر لهم عن عواقب الانحراف.

٨- العناية بمراكز ووحدات الإرشاد الأسري، لتوعية الأسرة بخطر الانحراف الفكري على أبنائها، وضرورة الوقوف على أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة.

٩- غرس مفهوم المواطنة والانتماء للوطن وضرورة الحفاظ على مؤسساته في النشء، وتربيتهم على أنه واجب شرعي.

١٠- ضرورة فتح حوارات بناءة مع الشباب، ومنحه الحريات الأساسية للتعبير الإيجابي عن آرائه تجاه أمور الحياة بشكل عام.

١١- توصية الباحثين والدارسين بضرورة إجراء المزيد من الدراسات العلمية حول الانحراف الفكري وسبل التصدي له ودحضه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

فهرس الكتب والمراجع

١- القرآن الكريم – جل من أنزله –
٢- الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق١٤٢٠هـ.
٤- الإرهاب والشباب لمحمد يسري دعبس، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٦ م.
٥- الاستقامة، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود -المدينة المنورة.
٦- الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، أحسن مبارك طالب، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (١٤٢٦هـ).
٧- الإسلام والشباب، لمحمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، (١٤١٤هـ).
٨- الإكليل في استنباط التنزيل للإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤٠١ هـ-١٩٨١ م.
٩- الأمثل في كتاب الله المنزل للإمام ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة – بيروت-الطبعة الأولى١٩٩٢م.
١٠- الأمن الفكري، د عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط أولى، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١١- الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، د محمد دغيم الدغيم، الكويت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦هـ.
١٢- الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع، علي بن فايز الجحني، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد ١٢، كلية المعلمين في أبها، جامعة الملك خالد، (١٤٢٩هـ).

١٣- البحر المحيط لمؤلفه أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
١٤- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.
١٥- التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، لـ خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن الحدري، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.
١٦- التطرف والإرهاب لأحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٣ م.
١٧- التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق/ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
١٨-الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٢/٢٠٠٢م.
١٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، دار المعرفة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢٠- العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، محمد سلامة محمد غباري، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ط ثانية، (١٩٨٩م).
٢١- الغلو في الدين، علي عبدالعزيز الشبل صـ٢٣، دار الوطن، الرياض، (١٤١٧هـ).
٢٢- المحرر الوجيز لابن عطية عبد الحق بن محمد بن عطية الأندلسي، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، الطبعة الثانية.
٢٣- المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار الفكر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
٢٤- المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري دار المعرفة سنة النشر: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
٢٥- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني كتاب الجامع - باب القدر، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٦- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، د جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، ١٩٩٤م/ ١٤١٤هـ.

٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة.
٢٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط رابعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
٢٩- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٣٠- المنار للشيخ محمد رشيد رضا، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
٣١- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ الكويت، ط ثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير)، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت).
٣٣- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للإمام تقي الدين ابن دقيق العيد، ط مؤسسة الرسالة – بيروت -١٤٢٦- ٢٠٠٥م.
٣٤- أحكام القرآن، للإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، ط اولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٣٥- إرشاد العقل السليم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي.
٣٦- أسباب ابتعاد الشباب عن منهج الوسطية من منظور طلبة الجامعة أ د فاضل خليل إبراهيم، أحد أبحاث مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي.
٣٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، ط دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٣٨-آفات على الطريق، للدكتور السيد محمد نوح، دار الوفاء المنصورة، ط أولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٩-أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي، ط دار إحياء التراث العربي.

٤٠- تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٤١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي.
٤٢- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي جـ١/ صـ٤٨٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٤٣- حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، فضيلة الدكتور: عبد الله بن عبد العزيز الزايدي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٧، الرئاسة العامة للبحوث والافتاء، المملكة العربية السعودية.
٤٤- دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف، عمر التومي الشيباني وآخرون، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤١٤هـ.
٤٥- دور المؤسسات التربوية للوقاية من الفكر المتطرف، تيسير بن حسين السعيدين، مجلة البحوث الأمنية، العدد ٣٠، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
٤٦- رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها لناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٤٧- رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية، لعبدالله بن ناصر السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤١٧هـ).
٤٨- روضة المحبين ونزهة المشتاقين للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق سمير مصطفى رباب، ط المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٩- زاد المسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ، الطبعة الثالثة.
٥٠- سنن ابن ماجه للإمام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.
٥١- سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المكتبة العصرية.
٥٢- سنن الترمذي لأبي عيسي محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٣- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للشيخ محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، دار الفكر بيروت،١٣٥٥هـ.
٥٤- صحيح البخاري للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، دمشق - لبنان،١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٥٥- صحيح مسلم للحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٥٦- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٥٧- ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، د مفرج بن سليمان بن عبد الله القوسي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.٣
٥٨- عون المعبود، للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٥٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
٦٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة الثانية والثلاثون.
٦١- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق/ رفيق العجم - علي دحروج، مكتبة لبنان، ط أولى، ١٩٩٦م.
٦٢- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، دار صادر، ٢٠٠٣م).
٦٣- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ط٢، عام ١٤٠٩هـ، دار العاصمة، الرياض.
٦٤- محاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ط اولى.
٦٥- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٦٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣.
٦٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ط أولى.
٦٨- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، ط دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٦٩- مفتاح دار السعادة للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار ابن عفان، السعودية، ط أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م
٧٠- منهاج السنة النبوية لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق د محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٧١- موقف الإسلام من الإرهاب لمحمد بن عبدالله العميري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٥هـ.
٧٢- نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه -، شرح غريبه الشيخ محمد عبده، المطبعة الأدبية – بيروت -١٨٨٥م.
٧٣- وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي لمؤلفه سليمان بن قاسم العيد، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٤، العدد ٢٨، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (١٤٢٠هـ).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
ملخص البحث	٨٠٧
المقدمة	٨٠٩
التمهيد: تحليل مفردات عنوان البحث،	٨١٦
المطلب الأول: التعريف بـ الانحراف – الفكر – الوسيلة – الوقاية – العلاج.	٨١٧
المطلب الثاني: تعريف الانحراف الفكري وضوابطه.	٨٢٢
المبحث الأول: نشأة الانحراف وعوامله.	٨٢٦
المبحث الثاني: أسباب الانحراف الفكري.	٨٣١
المبحث الثالث: مخاطر الانحراف الفكري وآثاره على الفرد والمجتمع	٨٥٢
المبحث الرابع: الوسائل الوقائية والعلاجية للانحراف الفكري.	٨٦١
المطلب الأول: وسائل الوقاية من الانحراف الفكري.	٨٦٢
المطلب الثاني: وسائل العلاج من الانحراف الفكري.	٨٨٣
الخاتمة	٨٩٧
فهرس المصادر والمراجع	٩٠٠
فهرس الموضوعات	٩٠٦